

مقدمة الطبعة الثانية

عندما اقترحت عليّ الهيئة العامة للكتاب بمصر - من خلال الصديق الأستاذ محمد سلمان مدير التحرير - اصدار طبعة (مصرية) من كتابي القدس ليست أورشليم، خامرني شعور حقيقي، بأن النظرية التي يطرحها هذا الكتاب، سوف تحظى بنقاش علمي أكثر غنى، وقد يفجر أفكاراً جديدة بشأن تصحيح تاريخ فلسطين، كمدخل لتصحيح تاريخ المنطقة بأسرها. ولكنني شعرت بالحاجة لتغيير طفيف في عنوان الكتاب، وإضافة فصل جديد، بهدف تعميق النقاش لا أكثر. وهذا ما شجعني عليه الصديق الباحث المصري المتألق عمرو منير.

ما يقوله الكتاب هو التالي:

أن القدس اسم حديث، لا يرقى لأبعد من العهدة العمرية (15 هجرية). وأن اسم **qds** قدش- قدس في التوراة، لا يعني بأي صورة من الصور القدس العربية الاسلامية. والمماثلة بينهما هي نتاج مخيالية غريبة للتوراة، لأن ظهور الاسم من الناحية التاريخية لا يرقى لأبعد من فترة الفتوحات الإسلامية، وبالتالي يصبح من غير المقبول علمياً تصديق مزاعم عن وجود اسم القدس في كتاب ديني يعود الى نحو 500 ق.م؟ والصحيح أن التوراة تحدثت عن جبل اسمه قدش- قدس ولم تتحدث عن مدينة القدس العربية؟ وبكل تأكيد فهي ليست جبلاً ولا فوق جبل، ولا يوجد- بوجه الإطلاق- أي نص في التوراة بلغتها العبرية يقول، أن القدس هي أورشليم؟ لقد عُرف جنوب الشام تاريخياً باسم (إيلياء) وهو اسم مؤنث مشتق من اسم الإله العربي الذكوري (إيل-عيل) الذي ينصرف إلى اسم الله ، وقد عرفه العرب والمسلمون واستخدموه في مدوناتهم ورواياتهم دون حرج، حتى أن عمر بن الخطاب - رض- كتب في العهدة الشهيرة عبارة (أهل إيليا- إيلياء) ولم يكتب (أهل القدس). والبخاري في سرده لمروية رسالة النبي-ص- لهرقل، استخدم اسم إيلياء ، لأن هذه المدينة المسيحية كانت تُعرف عند العرب في الجاهلية ومطلع الإسلام بهذه الصيغة، ضمن التقسيم الإداري الروماني- البيزنطي لبلاد الشام، وليس باسم القدس الذي ظهر تالياً مع الأمويين، وهذا ما برهنا عليه من قبل في مؤلفات كثيرة وسنبرهن عليه من جديد ، لأن هذا الاسم يظهر في نصوص التوراة كاسم لجبل وليس اسماً لمدينة؟ كما أن وصف التوراة لقدش- قدس يختلف كلياً عن وصف أورشليم، وهي تنظر إليهما كمكانين منفصلين؟ ولذلك ظهرت جماعة يهودية متطرفة تؤمن بحرفية ما ورد في التوراة، تسمي نفسها (أمناء جبل الهيكل) لأنها تؤمن، أن بيت الرب بناه سليمان في جبل قدس كما تقول التوراة؟ فكيف نصدق أن الهيكل تحت قبة الصخرة، بينما القدس العربية مدينة فوق هضبتين صغيرتين، وليست جبلاً ولا فوق جبل؟

والأمر المؤكد بالنسبة لي، كما برهنت في مناسبات سابقة، أن التوراة لا تتضمن أي شيء يخص فلسطين أو يلمح إلى ذكرها بأي صورة من الصور؛ بل ولا توجد أدنى صلة للتوراة بتاريخها. وكل ما يُزعم عن وجود وصف لأرضها في التوراة، ليس أكثر من ترويج لأكاذيب وخدع استشراقية، تنتمي إلى العصر الاستعماري وهي تأويل سطحي لكلمة ها- فلشتميم **הַפְּלִשְׁתִּים** وتصويرها على أنها تعني الفلسطينيين. وقد بلغ التلاعب ذروته حين جرى الترويج لنظرية زائفة مفادها، أن الفلسطينيين دخلوا فلسطين متسللين عبر جزيرة كريت اليونانية. والمحزن في الأمر، أن المؤلفين والدارسين العرب راحوا يرددون هذه الأكذوبة دون تدقيق.

والقول بأن التوراة لم تذكر اسم القدس ولا تشير إلى أنها تدعى أورشليم، لا ينبغي أن يفهم منه، نفيًا لقداسة المدينة أو تقليدًا من قدسيتها ومكاتها التاريخية بالنسبة للمسلمين والمسيحيين؛ بل العكس تمامًا، فمثل هذا النفي يحطم أسطورة زائفة قامت على مطابقة تعسفية من أجل انتزاع القدس والاستيلاء عليها. إن الدفاع عن القدس يتطلب فضّ الاشتباك بين هاتين الصورتين، فقدسنا العربية الإسلامية لم يكن اسمها أورشليم قط. وأريد - في هذه المناسبة- أن أنبه إلى أهمية فتح نقاش علمي بين أهل الاختصاص، تكون مساحته الحقيقية مدعمة بالأدلة العلمية لا الخطب الدينية والشعارات الحماسية، ذلك أن إعادة بناء الرواية التاريخية التي جرى التلاعب بها، يتطلب نقاشًا علميًا هادئًا وموضوعيًا.

كل ما يمكن قوله أخيراً، في هذه المناسبة- حين يستقبل الجمهور المصري الكريم هذا الكتاب، إن صدور هذه فرصة أخرى بكل تأكيد، لتجديد التمسك بعروبة القدس.

فاضل الربيعي

القاهرة 27/10/2012

مقدمة الطبعة الأولى

هل القدس التي يُزعم أن اسمها ورد في التوراة، هي ذاتها المدينة التي ذكرها كتاب اليهودية المقدس باسم "أورشليم"، وأن الاسمين معاً، يدلان على مكان واحد بعينه كما تقول الرواية الإسرائيلية المعاصرة؟ ولكن، هل ذكرت التوراة حقاً، بأيّ صيغة من الصيغ المفترضة، اسم "القدس" - بألف ولام التعريف العربية؟ وهل يتطابق وصف التوراة لها مع وصف أورشليم، وبحيث يجوز لنا مطابقة المكانين وعدّهما مكاناً واحداً؟

ما أريد إثارته في هذه الأطروحة النظرية هو الآتي:

إن التوراة لم تذكر اسم فلسطين أو الفلسطينيين قط، وأنها لم تأتِ على ذكر "القدس" بأي صورة من الصور. وكل ما يُقال عن أن المكان الوارد ذكره في التوراة باسم "قدس- قدس" قُصدَ به المدينة العربية، أمر يتنافى مع الحقيقة التاريخية والتوصيف الجغرافي ولا صلة له بالعلم لا من قريب ولا من بعيد. كما أن التوراة لا تقول البتة، أن قدس التي وصلها بنو إسرائيل بعد رحلة التيه هي أورشليم؟ لقد حامت الشبهات - بالنسبة لي - حول هذه البديهية الشائعة في المؤلفات التاريخية والسياسية في العالم كله، منذ أن قمت، وطوال سنوات من العمل الشاق، بإعادة تركيب وبناء الرواية التوراتية عن التاريخ الفلسطيني استناداً إلى النص العبري، حيث تكشفت أمامي حقائق مذهلة غيّبها المخيال الاستشراقي السقيم طوال القرنين الماضيين، وذلك عبر الترويج الزائف لأسطورة أرض الميعاد اليهودي. والمدهش، أن هذا الكشف - الذي أقدمه اليوم تطويراً للنظرية التي عرضتها في مؤلفي السابق فلسطين المتخيلة: أرض التوراة في اليمن القديم¹ - قد لا يكون صادماً لوجدان اليهود المتعصبين والتوراتيين والاستشراقيين وحسب؛ بل ربما يكون صادماً أيضاً، للوجدان الفلسطيني والعربي والإسلامي على حدٍ سواء، ما دامت الفكرة الرائجة التي تقول أن اسم القدس ورد في التوراة، هي فكرة مغرية وجذابة في الثقافة الروحية، يصعب المس بها أو تعديلها لتتوافق مع التاريخ المتحقق، وذلك نظراً لارتباطها بالجانب العاطفي لا التاريخي من مسألة قدسية وقدم المدينة القديمة. ويمكن للمرء أن يخمن بسهولة، مقدار الصعوبة في مراجعة هذا النوع من الصور والأفكار الأثيرة.

بيد أن الحقيقة التاريخية عن قدم القدس و" قدسيته "، المؤكدة بالنسبة للمسلمين والمسيحيين كافة، هما أمران مُسلمّ بهما ولا يستوجبان بأي شكل من الأشكال، الاستعانة بالتوراة، أو بما يزعم انه نصوص تورانية ورد فيها ذكر القدس من اجل التأكيد على هذا الجانب؛ بل على العكس من ذلك، ربما تكون الاستعانة بالتوراة ضرورية فقط، من اجل البرهنة على أن الكتاب المقدس لليهودية يتحدث عن " قدس " أخرى عرفها شعب بني إسرائيل، لا علاقة لها بالقدس العربية – بألف ولام-.

إن أكثر ما يجب أن يثير اهتمامنا اليوم حول هذه المسألة، هو البحث من داخل النص العبري عن الدليل الذي استخدمه التوراتيون للترويج لأسطورة تطابق القدس وأورشليم، وبالتالي دحض الأفكار والصور الاستشراقية التي سادت في علم الآثار عن هذا التطابق. ومن غير شك؛ فإن إثارة النقاش حول نوع وطبيعة التزوير الفاضح الذي تعرض له تاريخ القدس العربية على أيدي علماء الآثار من التيار التوراتي، سيكون ضرورياً للغاية من اجل تقديم مساهمة جديدة لتصحيح تاريخ فلسطين القديم برمته؛ فهذا التاريخ كان عرضة للتزوير والتلاعب بصورة مرّوعة، يشعر معها المرء بالحيرة والعجز حيال إمكانية تطويق النتائج التي رسخت بسببه في ذاكرات الملايين من البشر. إن المساهمة في تصحيح تاريخ فلسطين القديمة، تتطلب من عموم القراء إمعان الفكر ملياً بالأدلة المقدمة والانفتاح عليها والتعامل معها بروح العلم لا العاطفة والأحكام المُسبقة . ويمكن للمرء، إذا كان من المشتغلين في حقل التاريخ، أن يقدم بسهولة وفي مناسبة كبرى من نوع اعتبار القدس عاصمة للثقافة العربية؛ تقريراً تاريخياً احتفالياً بالمدينة المقدسة، يكرر فيه ما هو رائج في المؤلفات والكثير منها مبني على قصص التوراة. لكن الأهم من الاحتفاء الثقافي بتاريخية المدينة المقدسة، أن يجرؤ- المرء نفسه- على قلب الحقيقة المزيفة رأساً على عقب، وان يعيد النقاش العلمي برمته إلى نقطة البداية: كيف، ولماذا جرت المطابقة التعسفية وما الغرض منها؟ وهذا ما ارغب في تقديمه كمساهمة في هذه المناسبة. لقد كانت فلسطين وما تزال، ضحية تلاعب- بالتاريخ القديم- يرقى إلى مستوى العبث غير الأخلاقي بالحقائق الجغرافية والتاريخية. وفي مناسبة من هذا النوع، جدير بنا أيضاً، أن نقوم ودون تردد بفضح العبث الاستشراقي الذي جرى على أيدي علماء آثار ومحققين وكتاب تاريخ، وطوال أكثر من مائة عام، لا بهذه الحقيقة وحدها، وإنما بنظام السرد التاريخي كذلك، للأحداث والمرويات والقصص التي روتها التوراة، وُزعمَ أنها دارت فوق ارض فلسطين.

وإذا كان لا بد من قولٍ يختصرُ فكرةَ الكتابِ ويُحدِّدُها ضمنَ إطارٍ واضحٍ؛ فإنَّ المؤلفَ
يرغب في التَّشديدِ على التَّالِي:

هذه " قدسنا " القديمة، وهي ليست -ولم تكن تدعى- أورشليم.

فاضل الربيعي

دمشق 2009

الفصل الأول (

نقد أسطورة التماثل بين أسماء الأماكن في التوراة وجغرافية فلسطين

لا تقوم الرواية الإسرائيلية المعاصرة، والقائلة أن فلسطين هي " أرض الميعاد اليهودي" وأن "مملكة إسرائيل القديمة التي أقام فيها شعب إسرائيل" تقع في فلسطين التاريخية، إلا على أساس وادٍ من المماثلة الشكلية والتعسفية، والباطلة كذلك، بين الأرض التي وصفتها التوراة في النص العبري، وأرض فلسطين التاريخية. لقد تأسست، طبقاً لهذا الزعم غير التاريخي، فكرة زائفة أخرى موازية، تُطابقُ بين القدس العربية- الإسلامية، وبين أورشليم الوارد ذكرها في التوراة. وبذلك، تكون الرواية الإسرائيلية المعاصرة عن التماثل في أسماء الأماكن، قد تأسست في الأصل، على أرضيةٍ مُطابقةٍ مأكرةٍ ومخادعةٍ لا مثيل لها، بين " أورشليم" و" القدس"، حين اعتبرتهما المكان نفسه الذي وصفته التوراة. إن نقد الرواية الإسرائيلية بالأدوات ذاتها التي استخدمها المخيال الغربي الاستشراقي، هو السبيل الوحيد الذي يمكن من خلاله، البرهنة على بطلان هذه الرواية من أساسها. لقد بيّنت تحقيقاتي والعمل الدراسي الشاق الذي قمت به في مؤلفي (فلسطين المتخيلة - مصدر مذكور) أن فلسطين لم تعرف في أي وقت من تاريخها القديم قط، الأرض التي وصفها التوراة، وإن القدس العربية لم تكن تدعى في أي وقت من الأوقات ب" أورشليم". كما أن التوراة لم تأتِ على ذكر الفلسطينيين أو فلسطين. ولذلك؛ فإن المطابقة التي روج لها المخيال الاستشراقي، استناداً إلى قراءة مغلوطة للنص التوراتي، هي التي أدت إلى شيوع هذه الأفكار والتصوّرات الخاطئة. وما سأقوم به اليوم ليس تكراراً لما قمت به في مؤلفي السابق؛ بل هو محاولة ثانية تتواصل مع النتائج التي خرجت بها. ولذا، ومنعاً لكل وأيّ التباس قد ينجم عن هذه الفكرة المثيرة، فسوف أعيد التأكيد على الأسس التي تشكل جوهر الأطروحة الجديدة : أن القدس الموصوفة في التوراة (وطبقاً للنص العبري) لا علاقة لها بالقدس العربية على وجه الإطلاق. وبهذا المعنى وحده، فالقدس ليست هي أورشليم كما يُزعم في الدراسات الكتابية المعاصرة (من الكتاب المقدس).

لقد كان اسمها التاريخي الذي عرفه العرب في الجاهلية ثم مع الإسلام، يتداخل مع اسم " بيت المقدس " فيدل احدهما على الآخر. فضلاً عن هذا؛ فإن التوراة، كما سوف نبين بالأدلة القاطعة، لا تقول بأي صيغة من الصيغ المحتملة، أن القدس هي أورشليم. وعلى العكس من هذا الزعم الضعيف والمتهافت الذي روج له المخيال الغربي الاستشراقي؛ فإن النص التوراتي يميز بدقة متناهية بين مكانين منفصلين لا صلة بينهما، يدعى أحدهما قَدَش- قَدَس (بفتح الحرف الأول والثاني من الاسم -والسين والشين في العبرية حرف واحد عند النطق) فيما يدعى الآخر أورشليم، وهما مكانان لا رابط بينهما على مستوى الجغرافيا أو على مستوى الثقافة الدينية، فالأول وكما يتضح من وصف التوراة، جبل شامخ تم تقديسه (تطهيره) أو تحريمه فسمي (قَدَش- قَدَس)². أما الاسم الآخر (أورشليم) فاسم لمدينة من المدن، يتكرر حضورها في نصوص مختلفة من التوراة، دون أي رابط جغرافي مع الجبل. بكلام آخر؛ فإن التوراة تطلق على مكان بعينه اسم " أورشليم " ولا تقول عنه، قط، ولا بأي شكل من الأشكال، أن المقصود منه القدس (أو قَدَش). وهذا يعني أن شعب بني إسرائيل القديم، وهو من الشعوب والقبائل العربية البائدة، وطبقاً للرواية التوراتية، عرف مدينة باسم أورشليم، كما عرف مكاناً آخر باسم قَدَش- قدس. وإلى هذا كله، فسوف يكون أمراً مدهشاً، عندما نخبرنا التوراة عن وجود ثلاثة أماكن، كل منها لا يشبه الآخر، عرفها شعب بني إسرائيل باسم " قَدَش- قَدَس "، وليس مكاناً واحداً؟

والمثير أن كل مكان (موضع) من هذه الأماكن الثلاثة، هو جبل بعينه له جغرافيته الخاصة به. وبالطبع لا توجد في جغرافية فلسطين التاريخية مثل هذه الأماكن. إن الفضاء الجغرافي الوحيد الذي ضم في الماضي البعيد ثلاثة أماكن لها الاسم نفسه، هي الأرض الممتدة من وادي الرمة حتى جنوب مدينة تعز اليمنية. وذلك ما يفسر لنا مغزى وجود أسماء مدن يمنية وأسماء قبائل وشعوب عربية بائدة في قصص التوراة، مثل عدن، وحضرموت، ووادي الرمة. ولعل وصف التوراة الدقيق لجبل قَدَش- قَدَش من النوع الذي لا يقبل أي تأويل مغاير، لأنه وصف واضح لجبل وليس لمدينة، وهو يشير في أن واحد إلى جبل بعينه وإلى موضعين آخرين، لا يُدعى أي منها " أورشليم ". وهذا ما لا ينطبق على وصف القدس العربية لا من قريب ولا من بعيد. ولأن النص يتحدث عن جبل شامخ وليس عن مدينة؛ فإن من غير المنطقي مطابقة القدس العربية التاريخية بقَدَش- قَدَس الوارد ذكرها في التوراة.

كما أن القدس العربية ليست جبلاً ولا تقع في جبل، وهي بكل يقين ليست فوق جبل، فضلاً عن هذا كله، فلا وجود في جوارها القريب أو البعيد، لجبل بهذا الاسم يمكن أن ينسب إليها² : ومن هذا الجذر الثلاثي الذي استخدمه العرب القدماء في طفولتهم البعيدة، جاء اسم العاصمة الصومالية (مقديشو). والميم في أول الاسم كما سوف نبرهن، أداة تعريف منقرضة استخدمت في اللهجات اليمنية القديمة.

وتعرف به. وللتذكير؛ فإن المتطرفين وُغلاة اليهود الغربيين، يصرون على وصف التوراة هذا، وهم يقولون أنها فوق جبل (ولذلك ظهرت جماعة أمناء جبل الهيكل التي تقول أن هيكل الرب الذي بناه سليمان هو في القدس العربية أي فوق جبل، هذا برغم أن القدس العربية تقع فوق هضبتين مرتفعتين). والمدهش أكثر، أن النص التوراتي يتحدث عن سقوط أورشليم بعد أن هاجمها الملك داود من جبل يدعى جبل صهيون، وأن داود أطلق اسمه على الجبل- الحصن الذي استولى عليه، فصار اسمه " مدينة داود ". وبالطبع لا يوجد في طول فلسطين وعرضها جبل يدعى جبل صهيون. والجغرافيون العرب ومعهم جغرافي اليونان الذين وصفوا بلاد الشام في حقب وقترات مختلفة من التاريخ، لم يذكروا قط اسم جبل في جنوب سورية يدعى جبل صهيون، كما لم يذكروا أي شئ عن بلاد تدعى " اليهودية "، قامت في أي وقت فوق أرض فلسطين. ومن المؤكد أن اسم جبل صهيون في الذكريات الوطنية العربية، اسم يثير الفضول والريبة والحيرة والسخط في آن واحد، لأنه يرتبط باسم " الحركة الصهيونية ". لكن، ماذا، لو أننا قلبنا هذا المزاج السيئ رأساً على عقب، وقلبنا معه التاريخ الملفق والجغرافيا المزورة، وبرهنا أن جبل صهيون جبل عربي شامخ من جبال اليمن، وأن الشعر الجاهلي تغنى به وذكره بالارتباط مع منطقة نجران وليس بفلسطين؟

ولذلك، سنقوم بإعادة بناء الرواية التوراتية عن سقوط أورشليم، تمهيداً لتقديم البرهان على الأمور المترابطة التالية :

أولاً :

إن قدس- قَدَش الوارد ذكرها في التوراة حسب الزعم الاستشراقي، ليست القدس العربية التي نعرفها، وهي لا تدعى أورشليم قط

ثانياً :

والقدس المُدعى أن التوراة سجلت اسمها، لم تُ تذكر قط إلا في صورة " جبل قَدَش " وقصد به ثلاثة مواضع (أماكن - جبال) لا جبلاً أو مكاناً واحداً .

ثالثاً :

كما أن القدس ليست فوق جبل ولا قرب جبل، بينما تصفها التوراة كجبل؟

رابعاً :

وأن جبل صهيون الذي يؤدي إلى أورشليم لا وجود له في فلسطين. ومن غير المنطقي تخيل اختفاء جبل من الجغرافيا، أو زوال اسمه أو تحول طريقة نطقه، بينما يزعم التوراتيون أن كل الأسماء الواردة في التوراة صمدت على مر الزمن، وأنها لا تزال موجودة في فلسطين منذ ألفي عام، برغم أن الكثير منها مجرد آبار قديمة أو ينابيع وعيون ماء أو قرى يسهل زوالها ونسيان أسمائها؟

خامساً :

وأن التوراة لم تذكر اسم فلسطين قط، كما لم تُشر أو تلمح مجرد تلميح إلى اسم الفلسطينيين. وكل ما يُزعم ويُقال عن وجود أي ذكر لهما في كتاب اليهودية المقدس، إنما يدخل في باب الخيال الاستشراقي الاستعماري الذي تم توظيفه بدهاء من أجل تبرير عملية " تهويد القدس " .

وعلى هذا الطريق، سوف نقوم- في سياق تحليل هذا الترابط ومغزاه- بإعادة بناء الرواية الجغرافية التوراتية (واستطراداً إعادة بناء الرواية التاريخية) بهدف تقديم مساهمة جديدة في تصحيح تاريخ فلسطين القديم، وتهذيبه وتخليصه من الشوائب التوراتية والاستشراقية. لقد بات هذا التاريخ موضوعاً مُلتبساً، مع تصاعد الصراع واحتدامه ضد محاولات تهويد المدينة، وسيغدو شائكاً أكثر ويصعب فهمه بصورة صحيحة من دون عمل علمي، يبرهن فيه المسلمون جميعاً، أن ما ورد في التوراة لا يتطابق مع وصف القدس العربية. وللتدليل على نوع ومقدار الصعوبة في فهم التاريخ القديم لفلسطين، واستحالة إيجاد أرضية مناسبة يتحقق فيها الانسجام المطلوب بين أحداث التاريخ والتوصيفات الجغرافية، فسوف أعطي المثال التالي: إذا ما قبلنا -لأغراض السجال العلمي وحسب- المزاعم الرائجة والقائلة، إن التاريخ المروي في التوراة هو تاريخ فلسطين القديمة، فكيف يجوز لنا في هذه الحالة، إغفال حقيقة أن الجغرافيا الموصوفة تتحدث عن عدن وحضرموت وصنعاء(أوزال - الاسم القديم لصنعاء وقد ذكرته التوراة- سفر التكوين بالصيغة ذاتها)؟ وما علاقة الأحداث التي دارت هناك بتاريخ فلسطين القديم؟ وفي الواقع، سيكون أمراً عسيراً على الفهم، وغير مقبول علمياً، تجاهل هذا التناقض.

بيد أن ما يبدو تناقضاً في النص التوراتي، ليس تناقضاً مؤكداً - فالتوراة تقدم وصفاً دقيقاً بالارتباط مع أحداث بعينها، ليس فيها أي قدر من التباين - بمقدار ما فيها التباس ناجم عن قراءة استشرافية، طبقت بشكل تعسفي بين تاريخ فلسطين القديم وأحداث التوراة. وبكلام موازٍ، فالتوراة - وبالطريقة التي جرى فيها تأويلها - هي نتاج مخيلة أوروبية استعمارية. ولذلك، يجب أن نعود إلى النص العبري لأجل تفكيكه وإعادة بناء روايته. ولهذا الغرض، فسوف نقوم بإعادة تحليل وتركيب قصة سقوط أورشليم على يد داود الملك

رواية التوراة عن سقوط أورشليم وجبل صهيون

نعلمُ من روايات التوراة المتفرقة، أن أورشليم سقطت في يد داود الملك، بعد أن استولى على مدينة جبالية بالقرب منها وتقع في عزلة جبالية حصينة تدعى بيت بوس. لقد مهد سقوط بيت بوس، بحسب رواية سفر صموئيل النبي، وهو المعروف عند الإخباريين العرب بالسمؤال اليهودي؛ الطريق أمام الملك داود لطرد سكانها اليبوسيين والاستيلاء عليها. ولذا، فالمدينة التي سقطت في قبضة داود بعد بيت بوس هي التي تسمى في نص صموئيل " مدينة أورشليم ". وفي الواقع لا توجد مدينة فلسطينية قديمة قرب القدس العربية تدعى بيت بوس، يمكن عند الاستيلاء عليها وطرد سكانها، الاستيلاء على القدس؟ والمثير للاهتمام في نطاق هذه الرواية، أن النص الذي كتبه صموئيل عن أحداث سقوط أورشليم في قبضة داود الملك، يشير إلى أن المدينة هي في الطريق إلى مدينة (ربة) عاصمة العمونيين. والملاحظة الأولى التي تستوقف كل قارئ للنصوص العبرية في هذا النطاق المحدود من السرد التاريخي، أنها تستعمل الفعل الماضي الناقص (هيء) بمعنى (كان) في الإشارة إلى بيت بوس؛ إذ تقول في أكثر من موضع (وبيت بوس - هيء - يروشم) أي (بيت بوس وكانت أورشليم). وهذا يعني أن بيت بوس كانت في عصر داود مدينة حصينة تؤدي إلى أورشليم، بمعنى (دار السلام). لكن داود بعد انتصاره قرر أن يطلق اسمه فقط على حصن المدينة الذي كان يدعى صهيون، ليصبح " مدينة داود ". وصموئيل يقول عن هذه المعركة ما يلي (النص العبري : 22 : 4 : 5):

**וילכד-ה-מלך-אנשיו-ירושלים-אל-יבושי-ויושב-ב-
הארץ-דוד-מלך-את-מ-סדה-ציון-היא-עיר-דוד**

ו-י-ל-כ-ד-ה-א-מ-ל-כ-ע-נ-ש-י-ו-י-ר-ו-ש-ל-מ-
ע-ל-ב-ו-ס-י³-ו-י-ו-ש-ב-ה-א-ע-ר-ص-د-د-م-ل-ك-
ع-ت-م-ص-د-ه-ص-ي-و-ن-ه-ي-ع-ي-ر-د-د)

يقول النص حرفياً ما يأتي :

(واستولى الملك ورجاله على أورشليم ييوسي وطرده سكانها من الأرض، وأخذ داود الملك حصن صيون فأصبح اسمه مضارب داود)

وسوف يفهم كل قارئ لهذا النص، وبسهولة، أن داود استولى على مدينة تدعى بيت بوس، لكنها كانت " أورشليم " أي مدينة مسالمين آمنين متدينين. أو كما يقال في الموارد العربية : دار سلام. وهذا النص ينفي نفيًا قاطعاً أن تكون أورشليم هي القدس أو هي قَدَش קדש-قَدَس، كما أنه يؤكد وجودها قرب أو في الطريق إلى جبل صهيون (صيون والهاء الوسطية حرف صوتي كما في كلام أهل اليمن: يريق الماء- يهريق الماء). وبالطبع فالقدس العربية لا تقع قرب جبل صهيون- صيون، ولم تكن تدعى بيت بوس أو أورشليم.

فأين وقعت المعركة؟ هل وقعت في فلسطين أم في مكان آخر؟ ومن أين جاء المخيال الاستشراقي بفكرة وجود تطابق وتمائل بين اسمي المدينين؟ في الواقع لا يوجد مكان، أو موضع أو جبل يدعى جبل صهيون في أي بقعة من العالم القديم، سوى الجبل المعروف عند العرب باسم جبل صهيون، وهو حصن منيع بالفعل، يوصل سلسلة جبال السرّ بنجران في سَرُو حَمِير إلى الشرق من صنعاء. واليمنيون يقولون في المأثور الشعبي حتى اليوم (كل بوسي يهودي وكل يهودي بوسي).

وذلك في إشارة إلى بيت بوس اليمنية التي كان سكانها على دين اليهودية، وهي مكان جبلي حصين، وصفها الهمداني وصفاً دقيقاً ومسهباً في كتابه (صفة جزيرة العرب) وتاماماً كما في النص التوراتي.

إليك وصف الهمداني لبيت بوس (صفة جزيرة العرب : 154-156) :

³ :يشوع 18:16 (ببوص- بحرف السامك)

ثم الجوف وهو منفهق من الأرض بين جبلين، فيه انف وأوبن وما اقبل من (مياه) من عدّ- ورد، وهو وادٍ يصب مع سامك ودبرة، إلى الحقلين والسهلين وما أقبل من أشراف نقيل السود، **فببيت بوس** وجبل نقم وما بينهما من حقل صنعاء.

ويفهم من هذا النص، أن **بيت بوس اليمينية** مكان جبلي على الطريق المؤدي إلى صنعاء. وهذا الطريق، ويفضي إلى منطقة نجران أيضاً. علماً أن كل الأسماء الواردة في نص الهمداني، وكما برهنا في مؤلفنا (فلسطين المتخيلة) ترد في نصوص التوراة (حرفياً، مثل وادي دبرة وأنف وأوبن ونقم وصنعاء التي تسجل التوراة اسمها القديم أوزال وبنفس التسلسل). إن هذا التتابع المذهل بين النصوص التي سجلها الهمداني لجغرافية اليمن، ونصوص التوراة بلغتها الأصلية، يقطع بحقيقة أن التوراة تروي أحداثاً لا علاقة لها بالتاريخ الفلسطيني، كما تروي وتصف أماكن لا صلة بينها وبين جغرافية فلسطين. لقد سبق لي وأن بينت وبرهنت في مؤلفي السابق، أن التوراة كتاب إخباري- ديني من كتب يهود اليمن، لا صلة له بتاريخ وجغرافية فلسطين. وأستطيع اليوم أن أؤكد بالدليل القاطع، أن التوراة لم تأت على ذكر فلسطين، أو الفلسطينيين أو مدينة القدس، وأن كل ما يُزعم عن ذلك، يدخل في نطاق الدور الذي لعبه المخيال الاستشراقي الاستعماري في الترويج لأسطورة أرض الميعاد اليهودي. أما جبل صهيون الذي يؤدي إلى نجران من صنعاء، فيكفي أن نورد الواقعة التاريخية التالية التي توضح لنا أين يقع، وكيف ارتبطت به أحداث موثقة يعرفها تاريخ العرب القديم:

عندما صعد الملك اليمني اليهودي يوسف بن زرعة بن حمير الأصغر، المعروف عند المؤرخين العرب باسم (ذي نواس الحميري) في العام 524م إلى عرش اليمن، إثر مكيدة (انقلاب قصر) انتزع بواسطتها السلطة من أيدي الأسرة السبئية، أعلن على الفور عن عودة اليهودية إلى اليمن كله ديناً رسمياً داعياً اليمنيين جميعاً للعودة إلى دين آبائهم وأجدادهم. وهذه الواقعة يتوافق عليها كل المؤرخين العرب الكلاسيكيين.

إثر ذلك، قرر الملك اليمني اليهودي الزحف على نجران التي كانت المسيحية الوليدة فيها آنئذ، تتطور بسرعة مذهلة، حيث تنتشر وتقام على أرضها الكنائس الكبرى. ويبدو أن لانتشار المسيحية الشرقية على المذهبين النسطوري والمونوفيزي في نجران، صلة حميمة بتصاعد المشاعر المعادية لها في اليمن. كما أن لهذا الانتشار صلة موازية في يقظة مشاعر اليمنيين للعودة إلى اليهودية. وبذلك نشأ في هذا الوقت، وقبل ظهور الإسلام بأكثر من نصف قرن على الأقل، وضع ديني وسياسي معقد ساهم في تفاقم التوتر الديني بين العاصمتين اليمنية والنجرانية. وفي هذا الوقت، وحين كان الملك اليمني- المتهود- يستعد للزحف نحو العاصمة المسيحية في الجنوب الغربي من جزيرة العرب، كان الأعشى الهمداني، اليمني(النصراني المتعاطف مع أساقفة نجران) يسافر على عجل، ويلتقي أساقفتها من بني كعب من بلحارث، مُحذراً من حرب

يُعدُّ لها يهود اليمن. وفي هذا اللقاء قال الأعشى قصيدته الشهيرة التي حذر فيها عبد المسيح بن الديان أسقف نجران العظيم⁴، وشقيقه ومساعدته وراعي كنيسته يزيد قائلاً:

أيا سيديّ نجران لا أوصيُنكما	بنجرانَ خيراً فيما نابها واعتراكما
فإنْ تفعلّا خيراً وترتديا به	فإنكما أهل لذاك كلاكما
وإنْ تكفيا نجران أمرَ عظيمةٍ	فقبلكما ما سادها أبواكما
وإنْ أجلبت صهيون يوماً عليكما	فإن رحى الحرب الدكوك رحاكما

وفي نطاق هذه الحرب، وقع الحادث التاريخي الذي سجله القرآن الكريم في (آية الأخدود) من سورة البروج. قال تعالى: (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ). وهي الآية التي سجلت لحظة الاضطهاد اليهودي لنصارى نجران، حيث رُميَ ما يزيد عن 16 ألف نصراني في أخدود من نار، فكانت محرقة عظيمة لم يعرفها التاريخ من قبل. لقد اهتز وجدان العرب في الجزيرة والبادية، وهم يتلقون أنباء الاضطهاد الذي تعرض له نصارى نجران، ورأوا فيه نذر حرب دينية مخيفة.

ولذلك؛ فإن رواية الأخبار القدامى ممن روى القصة- والتي سجلتها وثائق الكنيسة بدقة- كانوا يعرفون جغرافية الحدث التاريخي، ويعرفون جيداً جبل صهيون الذي هبط منه جنود الملك اليهودي ذو نواس الحميري، ليتجهوا منه مباشرة نحو نجران. وبالطبع فمن غير المنطقي الافتراض أن جبل صهيون كان في هذا الوقت من التاريخ ضمن جغرافية فلسطين، وأنها هي التي هاجمت نجران وأحرقت النصارى، فالتاريخ لا يعرف واقعة من هذا النوع، والأدق والأقرب إلى الحقيقة التاريخية والمنطق، أن اليمن اليهودية هي التي هاجمت نجران. وهذا نزاع قديم سجلته التوراة في مواضع كثيرة. ونجران كما برهنا في مؤلفنا السابق، كانت تدعى (ربة) تماماً كما في التوراة، والعرب القدماء كما نعلم، كانوا يسمون نجران (ربة نجران) ويتحدثون

4 : ورد في كتاب " الإكليل " للهمداني عن نسب الديان (دايان) ما يلي : (والغوث أولد دايان). ويعلق محقق الهمداني على النسب بقوله : وتوجد (في مخلاف حضور مقاطعة يقال لها مخلاف دايان، ودايان أيضاً في منطقة حراز- الإكليل : 2 : 25)

عن كعبتها المسماة كعبة نجران. وحتى اليوم لا تزال هناك عائلات سورية من أهل الشام تحمل اسم صهيون نسبة إلى الجبل- في تأكيد صريح لأصولهم العربية اليمنية القديمة.

بيت بوس وأورشليم والقدس

إن نص صموئيل وسائر النصوص التي تحدثت عن أورشليم، تصف المدينة وجغرافيتها الجبلية بدقة، حيث سلسلة الوديان والجبال المحيطة والمرتبطة بها. وبالطبع، ليس لدى التوراتيين أي دليل عن وجود بيت بوس فلسطينية محاطة بجبال ووديان، أو أنها تؤدي إلى حصن جبلي منيع يدعى صهيون. هاكم وصف الهمداني للمكان (صفة جزيرة العرب) :

بيت بوس يُنسب إلى القيل اليمني ذي بوس (ذي بواس) بن شراحيل. حصن منيع ووادٍ فيه بعض الفواكه ويقع إلى الغرب الجنوبي من صنعاء بمسافة ساعتين.

لدينا في هذا النص ما يؤكد بشكل قاطع، وجود مكان جبلي بالوصف ذاته الوارد في التوراة ويدعى بيت بوس، وهو يرتبط بسلسلة جبلية تؤدي بدورها إلى جبل صهيون الوارد ذكره في شعر الأعشى، حيث يمكن للسائر هناك أن يهبط نحو نجران.

والمثير للاهتمام أن بيت بوس هذه، وبالوصف الوارد عند الهمداني، هي مدينة آمنة (حصينة) أي أنها " أورشليم " بمعنى المدينة التي تعيش آمنة، متنعمّة بسلام من خطر الأعداء، بفضل وجودها في مكان جبلي وعر وقاسٍ يصعب اقتحامه. ولنلاحظ أن كلاً من نص الهمداني ونص التوراة، يؤكد أن بيت بوس حصن منيع. لقد زعم التوراتيون وهم يفشلون في العثور على بيت بوس هذه، أنها ذاتها " يابوس " القرية الصغيرة في ضواحي دمشق. وهذا زعم باطل ولا أساس له، لان القرية لا تؤدي إلى القدس العربية ولا تتصل بسلسلة جبلية تفضي إلى جبل صهيون.

مقاربة

نص التوراة	نص الهمداني
واستولى الملك ورجاله على	بيت بوس حصن منيع ووادٍ
أرض اليبوسيين وأخذ الحصن	

وبالطبع، فلا وجود لمكان أو قرية أو مدينة أو موضع جبلي، يدعى "بيت بوس" في فلسطين التاريخية قرب القدس، كما لا يوجد حصن منيع يؤدي إليه ويدعى حصن صهيون. فهل من العدل الافتراض أن هذه الأماكن الجبلية زالت عن الوجود، بينما يزعم الإسرائيليون اليوم، أن أسماء القرى الوارد ذكرها في التوراة لا تزال موجودة هناك منذ أكثر من ألفي عام؟ فأين حدث الخطأ التاريخي المأسوي، ولماذا حدث؟ وكيف أمكن تمرير الخدعة القائلة أن التوراة سمت القدس أورشليم، فيما لا وجود لأي نص يؤيد هذا الزعم؟

من القدس إلى النقب

كما ورد في نص سفر يشوع (15: 1: 6) النص التالي الذي يحدد موقع جبل قدش- قدس على نحو لا يقبل التأويل :

**ويه-ه-جبول-لمטה-بني-يهודה-لمشفحتم-ه-جبول-ادم-ات-م-صنه-انبه-نغب
مكסה-تيمون-ويه-له-ال-جبول-نغب-مكצה-يس-ملح-ملشون-هفنه-انبه-ويصا-
ال-مغنب-لمعلا-عقربيم-وعبر-صنه-م-انب-ل-قدش-برنيع-وعبر-حزون-وعلا-
أدره**

(و-يهي-ها-جبول-ل-مطه-بني-يهوه-ل-مشفحتم-ها-جبول-ء-د-م-صن-جنبه-م-
قصه-تيمن-وي-هي-ل-هم-ءل-جبول-نجب-م-قصه-يم-ملح-م-لشن-ها-فنه-جنبه-
ويص-ء-ءل-م-جنب-ل-معلا-عقربيم-وعبر-صنه-م-جنب-ل-قدش-برنع-وعبر-
حصرون-ويعله-ء-درا)

والترجمة الأمينة للنص تقول ما يلي :

(وكانت المرتفعات لسبط يهوذا ولعشائره، قابل آدم من سفوح ضين، وجنبي، ومن أقصاها تيمن، وكان لهم القابل من نجب من أقصى يام، والملح . ومن لسن مواجها الجنوب، وتخرج إلى جنب على المعلاة وعقربيم، فتجتاز صنه وتصد من جنب إلى قدش، وبرنع، وعبر وحضر فتصعد أدره).

وهذا الوصف الذي سجله النبي يشوع لموضع يدعى **קדש** قدش- قدس، يتطابق كليا مع وصف الهمداني للمكان نفسه والأسماء نفسها، فقدس عنده تتصل بسراة جبلية وعرة محاطة بمجموعة من الوديان العميقة. وكما نلاحظ؛ فإن هذا الجبل المبارك يتصل بسراة جبلية تدعى **نجب**(ها- نجب) وبسلسلة من الوديان منها وادي **حضر** ووادي **جبل** **أدره** و**جبل** **يام**، قرب مصب من مصبات وادي **الملح**.

وفي هذا المكان أقام **سبط يهوذا** أكبر أسباط بني إسرائيل. لذلك، وإذا ما وضعنا هذا النص أمامنا، ثم قمنا بتأمل النص التالي الذي يصف عمليات ترميم وبناء أسوار أورشليم على يد **نحميا**، فسوف نكتشف أن التوراة تتحدث بالفعل عن مكانين منفصلين، أحدهما يدعى **قدش- قدس**، والثاني يتحدث عن **أورشليم** . هاكم وصف أورشليم كما سجله نحميا (1: 2: 10 من النص العبري):

**وامر-الاسم-ات-رايتس-الرعاه-اسر-يروشليم-ه-خريه-وسعريه-تضاتو-بائس-
لنو-ونبنا-ات-ه-خومت-يروشليم-وال-نهيه-عود-خرفه**

و-م-ء-لهم-ء-رئيم-ها-رعا-ءشر-ء-نحو-به-ءشر-يروشلم-ها-خريه-وشعر-
يه-نصتو-ب-ءيش-لكو-ونبناه-ء-ها-خومت-يروشلم-و-ءل-نهيه-عود-خرفه)

والترجمة الأمانة لهذا النص تقول ما يلي :

(فقلتُ لهم:ها أنتم ترون الرعا الذي نحن فيه، حيث أورشليم و- وادي-الخريه و-جبل-شعر.
فلنقم ببناء أسوار أورشليم ابتداءً منه، فتمتد الأسوار إلى- وادي-نهيه، و- عود، فإلى- وادي-
خرف)

ومن الواضح أن **نحميا**، وهو يجمع القبائل اليهودية اليمينية ، ويحثها على الشروع في البناء (بعد عودتها من الأسر بناء على مرسوم الملك الفارسي قورش عام 539 ق.م) قام ببناء أسوار المدينة المقدسة في مكان، لا علاقة له بجبل **قدش- قدس**؛ فها هنا مدن وجبال ووديان أخرى، وفضاء جغرافي مختلف كلياً، حيث **جبل شعر** (شعر بالعبرية تنصرف إلى اسم الجبل شعر وليس إلى معنى باب كما في الطبعة العربية) وادي **نهيه- نهيه**، ومخلاف **العود وادي خرف**. لقد شاهد **نحميا** كيف أن سور المدينة المخربة في **جبل الرعا** قد احترق تماماً، ولذا طالب القبائل وهي يدعوها إلى العمل، أن تدرك معنى وحدود الخراب الذي طال المدينة المقدسة. فهل من المنطقي الافتراض أن نحميا لم يكن يعرف أورشليم، أو انه لم يكن يميز بين قدس وأورشليم، بحيث قام بإعادة بناء أسوار مدينة أخرى؟ وفضلاً عن ذلك أن نحميا لا يشير قط إلى أن أورشليم المحترقة هذه هي نفسها قدش- قدس؟ وكما رأينا من نص يشوع؛ فإن قدش- قدس ترتبط بسلسلة جبال ها- نجب وقرب جبل يام؟ هذا التناقض في وصف المكانين، ليس تناقضاً عابراًً وعرضياً؛ بل هو في صميم الاختلاف الذي يفصل جغرافياً بين مكانين معلومين. وكنت قد بيّنت بالتفصيل، كيف أن الهمداني وصف بدقة مذهلة كل المواضع والأماكن التي تتحدث عنها النصوص التوراتية، فـجبل قدش- قدس المبارك جبل شامخ من جبال اليمن، يقع على مبعده 80 كيلومتراً إلى الجنوب من مدينة تعز اليوم. وقد ورد اسمه في قوائم الكرنك المصرية التي تزين جدران المعبد المصري القديم، باعتباره مكاناً استولى عليه المصريون في حملة **تحتمس الثالث** والتي بلغت، بإجماع علماء الآثار وكتاب التاريخ وعلماء المصريين، عمق الجزيرة العربية وجنوبها الغربي.

وفي هذه القوائم سنرى أن **جبل قدس يقع قرب وادي حضر**، بالضبط وكما في وصف التوراة والهمداني. وهذا تأكيد آخر على تطابق وصف المصريين مع وصف التوراة. والغريب أن قوائم **الكرنك** لا تشير قط إلى أورشليم. وهنا مقتطف من قائمة الكرنك (وقران بين نصوص الهمداني والتوراة وقائمة الكرنك).

قائمة الكرنك	
(نموذج دراسي)	
الاسم في قائمة الكرنك- مجدو	الاسم في صيغته العربية
1 : قَدَش	قَدَس
2 : مكت	مخت- المخا
3 : خطي	خطي
4 : عنسو	عنس
5 : حصر	حضر
6 : صور	صور
7 : روس	روس

إن الأماكن والمواضع الوارد ذكرها في القائمة المصرية، هي ذاتها المواضع والأماكن التي وصفها الهمداني في (صفة جزيرة العرب) باعتبارها أماكن ومواضع يمنية قديمة، فالمخا (مخت أو مكت) هو ساحل اليمن العظيم، المعروف عند الجغرافيين اليونانيين بساحل المخا- مكت، وحضر -حصر في العبرية من أشهر وديانه ، كما أن صور اليمن (وليس صور لبنان) من الوديان العظيمة التي وصلها المصريون في زحفهم، بعد أن استولوا على منطقة عنس (عنسو عند المصريين والتي لا تزال قائمة اليوم بعشائرها وقراها). والأمر ذاته ينطبق على

كل الأسماء الوارد ذكرها في نصوص التوراة الأخرى. يتبقى أن نلاحظ أن قدش- قدس برنيع، الوارد ذكرها في نص يشوع، تقع في سلسلة جبلية تدعى **הגלב** -ها- **נב**. وقد ترجمت الكلمة اعتباراً وتزويراً للجغرافيا والتاريخ إلى (**النقب**) وهذا تلاعب فاضح، لأن علينا - في هذه الحالة- أن نقلب كل حرف جيم(بالنطق المصري) إلى قاف. ومع ذلك؛ وإذا ما سلمنا بهذه الترجمة المزيفة لأغراض السجال، ففي هذه الحالة تصبح **قدس التوراة قرب النقب**، وهذا أمر غير قابل للتصديق جغرافياً، لأن النقب الفلسطيني مكان صحراوي لا يتصل بالقدس العربية، بينما المقصود من ها- **نجب** (**النجب**) سلسلة الجبال الممتدة من تهامة ونجران حتى منطقة الجوف، حيث يقع **جبل يام ووادي الملح**، تماماً كما في نص يشوع.

يقول الهمداني ما يلي (صفة 136-137)

ثم وادي بيض، ومأتيه من **سراة جنب** وجميع ما بين عدن ووادي تخله من ارض شرعب التي تنتهي إلى البحر. والثاني من أودية السكاسك، وادي اديم وجبال ذات الصريح- المحقق: وهي الجبال التي تسمى اليوم ذات الصريح وهي من المعافر ثم في **قدس**

إذا ما قمنا بوضع النصين (نص يشوع ونص الهمداني) في إطار مقارنة جغرافية، تتضمن التسلسل الدقيق للمواضع والأماكن التي تؤدي إلى جبل قدش عند يشوع، و**قدس** عند الهمداني، فسوف نحصل على التماثل المدهش التالي- وللاختصار فسنتكفي ببعض الأمثلة- :

يشوع	الهمداني
- ها- نجب (النجب)	- النجب
- أدم	- وادي أديم
- حصر	- وادي حضر
- قدش	- جبل قدس

وبكل يقين لا يوجد في هذه الجغرافيا (نقب صحراوي) يؤدي إلى القدس العربية في فلسطين. كما أن قدس هنا لا تدعى أورشليم؟ والآن هاكم مقاربة أخرى بين نصين من التوراة. النص الأول من سفر يشوع (15: 7 : 28) يقول نص السفر عن أورشليم ما يلي:

אבן הנום כתף היבוש-מ-גנב-הי-ירושלים

(ء-بن-هنوم-كتف-ها-يبوس-م-جنب-هي-ء-يرو-شليم)

والترجمة الصحيحة تقول ما يلي:

(أوبن، وهنوم، وكتاف ويبوس من جنب، ثم تكون أورشليم)

ومن المؤكد أن أورشليم في هذا النص، تظهر قرب جبل هنوم ووادي كتاف (وهو قائم حتى اليوم بالاسم نفسه ويرتبط بأحداث دامية وقعت مع الحوثيين في صعدة).

ومن هذا الوادي يمكن للسائر أن يصعد سلسلة جبال سراة جنب (وليس النقب) ليصل إلى بيت بوس، حيث تكون أورشليم أمامه.

أما النص الثاني فهو من سفر تثنية الاشتراع ويقول في وصف قدش- قدس ما يلي: (1 : 38: 18)

עד-קדש-ברניע-ואמר-לך-ב-את-עד-ה-אמרי

(عد-قدش-برنع-وء-مر-لك-ب-ءت-عد-ها-ءمري)

والترجمة الصحيحة للنص تقول :

(وعند قدش برنيع ، قلت لكم ها قد وصلتكم حتى جبل الأموريين)

هذه القدس المزعومة التي وصلها بنو إسرائيل حسب القراءة المخيالية الاستشراقية، تقع قرب **جبل يدعى جبل برنيع**- برنع وتسمى باسمه، وهي لا تدعى **أورشليم** كما هو واضح من النص . كما أنها تقع قرب **جبل الأموريين**. وكنا رأينا من نص يشوع السابق، أن **قدش**- **قدس** يمكن الوصول إليها من **برية صين وجبل عدره** وهما موضعان لا تعرفهما فلسطين.

قدس في الشعر الجاهلي ورواية التوراة

لكل ذلك، لا بد من التمييز بين سائر المواضع الجبلية الواردة في هذه النصوص، منعاً للخلط بينها وبين القدس العربية في فلسطين. إن عدم التمييز والإصرار على المطابقة التعسفية والجهل بجغرافية التوراة، هو الذي أدى إلى حدوث خلط مأسوي في الجغرافيا، نجمت عنه فوضى عارمة في التاريخ الفلسطيني، اختلطت فيها وتداخلت عصور وجماعات وأحداث لا يجمعها جامع. وفي سياق التمييز الذي نسعى إليه، سنعود إلى الشعر الجاهلي. لقد ورد ذكر **قدس**- **بالضم**- الجبل العربي الشامخ- وهما **جبلان**- في **بطن وادي الرمة** في الكثير من القصائد، بينما

وصف الهمداني في " صفة جزيرة العرب " **جبل قدس**- **بالفتح**- في سلسلة جبال المعافر اليمينية. وهذا يعني أننا بالفعل أمام ثلاثة مواضع، تماماً كما في التوراة وبالاسم نفسه.

قال الشاعر الجاهلي أبو ذؤيب الهذلي :

فإنك حقاً أي نظرة عاشقٍ نظرتَ وُقُدسَ دُونها ووقير

وجبل **قدس** هذا- **بالضم**- والذي يتغنى به الهذلي، ليس **جبل قدس**- **بالفتح**- في **جبال المعافر** إلى الجنوب من **مدينة تعز**؛ بل **جبل قرب وادي الرمة**، وهما **جبلان** أحدهما **ابيض** ويكنى **العرج**، والآخر **أنف احمر** **شامخ** و**كلاهما قدس**، وقد وصفهما الأصمعي والهمداني ومعظم شعراء الجاهلية. وحسب (لسان العرب) لابن منظور؛ فإن كلمة **قدس** تعني (الموضع المرتفع الصالح

للزراعة) والتقديس (التطهير والتبريك) والقدّس- بالفتح- السطل لأنه يتقدّس به. (كما يسمى
 قدس آرة- أوراة،).

وقال الأسود بن يعفر النهشلي (ويسمى أعشى نهشل لأنه تلقب بلقب الأعشى أيضاً) :

وجاملٍ كزُهاء اللّاب كُلفه

نو عَرْمَضٍ من مياه القهر أو قدسٍ

وقال البحتري :

فإذا هم افتخروا به لم ييجحوا

بقديمٍ ما ورثوا من العلياء

صعدوا جبالاتٍ من علاك كأنها

هضبات قدسٍ ويذبل وحراء

وقال خفاف بن ندبة السلمي :

طَرَقَتْ أُسِيْمَاءَ الرِّحَالِ وَدَوْنَنَا

مَنْ فَيَدُ غِيْقَةَ سَاعِدٍ فَكَثِيْبُ

فَالطُّودُ فَالْمَلَكَاتُ أَصْبَحَ دُونَهَا

فَفِرَاعُ قَدْسٍ فَعَمَقَهَا فَحْسُوبُ

وقال كعب بن زهير:

وَأَنْتَ أَمْرٌ مِنْ أَهْلِ قَدْسٍ أَوَارَةَ

أَحَلَّتْكَ عَبْدَ اللَّهِ أَكْنَافٌ مُبْهَلٌ

وقال كثير عزة :

كأن أخاهُ في النوائبِ ملجأً
إلى علمٍ من ركنِ قُدسِ المنطقِ

وقال كثير أيضاً :

فكانه إذ يغتدي مُتنسِّماً
وهذاً فوهداً ناعق برئالِ
كالمضرحيِّ عدا فأصبح واقعاً
من قُدسِ فوق معاقل الأوعالِ

وقال أبو بكر الصولي :

لهفي على مُنتخبِ حلمه
أرجحُ من رضوى ومن قُدسِ

ومن سائر هذه المقتطفات نفهم، أن العرب القدماء عرفوا قُدس في وادي الرّمة، وهما جبلان بإجماع الرواة والجغرافيين.

بين القُدسِ وقُدش-قُدس

سنقدم هنا وصفاً جغرافياً مقتضباً لمدينة القدس من اجل البرهنة على أن وصف التوراة لا يتطابق مع توصيفها. نشأت مدينة القدس في وقتٍ ما من تاريخ بلاد الشام، عند خط المياه الفاصل ما بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الميت، وفي بقعة خصبة مرتفعة. وقد يكون ما ميز نشوء المدينة، أنها بُنيت فوق هضبتين، تحدهما من الغرب السهول الساحلية، ومن الشرق نهر الأردن. أما إلى الجنوب منها، فسلسلة جبال الخليل. يكتب الرَّحالة العربي ابن حوقل عام 978م ما يأتي (تبلغ مساحة القدس قدر مساحة الرملة وهي مدينة مرتفعة مبنية على تلال . ويتوجب عليك أن تصعد إليها من كافة الجهات).

مقاربة

وصف الجغرافيين القدماء	وصف التوراة لجبل قدس
مدينة مرتفعة مبنية على تلال	فتجتاز صنه وتصعد من جنب إلى قدش، وعبر وحضر فتصعد أدره).

يخلص المرء من هذه المقاربات الجغرافية إلى تقرير الحقيقة التالية: أن المطابقة التي قامت بها القراءة الاستشراقية للتوراة، هي مطابقة زائفة وتعسفية ولا أساس لها في النص أو الجغرافيا.

ترريف وتصحيح

(نموذج دراسي)

والمثير للاهتمام في هذا السياق، أن ما من قارئ لتاريخ فلسطين القديم إلا وتصادفه غالباً، الرواية الاستشراقية التالية :

استمر الاستيلاء التدريجي للقبائل العبرانية على فلسطين، وتشكيل اتحاد القبائل الإسرائيلية لفترة امتدت لتصل إلى ما يزيد عن أربعمئة سنة. وتصف التوراة هذه الأحداث بدقة تفصيلية متناهية، بالفصول التي تبدأ بحملة موسى عبر الصحراء وصولاً إلى سفر القضاة. ولم تدم المملكة الموحدة لكل من شاول وداود وسليمان سوى مائة عام ليس إلا- وهذه حقيقة يضع عليها بالمناسبة علماء التاريخ حديثاً إشارة استفهام- وما لبث أن انفجر فيما بعد التناقض القديم بين قبائل الشمال والجنوب وقامت منذ ذلك الحين مملكتان للإسرائيليين، إسرائيل في الشمال لمدة مائة عام، ويهودا في الجنوب لمدة مائتين وعشرين سنة.

كلاوس بولكين (قديماً في البلد المقدس: رحلات إلى فلسطين القديمة 1986)

في هذه الرواية التقليدية للتاريخ الفلسطيني القديم، والتي يصادفها المرء في الكثير من المؤلفات (بما فيها كتب التاريخ العربي ويا للأسف) يمكننا أن نحدد الكثير من الأخطاء الفادحة، مثلاً لا يوجد حتى هذه اللحظة وعلى وجه الإطلاق- بعد ما يقرب من سبعين عاماً من البحث في باطن الأرض كما بيّن عالم الآثار الإسرائيلي هرتزوغ⁵- أي دليل تاريخي موثوق به في صورة لقي أثرية أو سجلات أو نقوش، يمكن أن يقدم أي نوع من الدعم والتأييد لما يزعم أنه " استيلاء القبائل العبرانية على فلسطين".

⁵ : كتب هرتزوغ Herzog في نهاية عام 1998 ما يلي : إن علماء الآثار الذين عملوا بحماسة منذ بدايات القرن- الماضي- بحثاً عن مواد تؤكد ما جاء في العهد القديم، لم يجدوا أي شيء. ولكن، كلما ظهر شيء ما على السطح؛ كلما تأكد لنا بوضوح أن الكثير من قصص العهد القديم ليست صحيحة (فمن عهد داود وسليمان لم نجد سوى بضع قطع من الفخار، لا تتطابق مع وصف التوراة. لقد وجدنا، بالفعل قطعاً من عصور مختلفة، متأخرة وحديثة، وهو ما يعني أن المنطقة كانت مأهولة. بيد أن أياً من المكتشفات لا تبين أنها تنتمي إلى عصر داود وسليمان)- أنظر للمزيد مؤلفنا : شقيقات قريش - بيروت 2002

لقد بُنيت هذه الرواية على أساس قراءة استشراقية للتوراة، رأيت في المرويات والأساطير والقصص مادة أساسية في " صناعة " تاريخ فلسطيني قديم، تظهر فيه القبائل الإسرائيلية قوة منتصرة، وهذا أمر يتنافى كلياً مع علم التاريخ؛ إذ من غير المنطقي اعتبار القصص الديني والمرويات دليلاً تاريخياً ما لم يجر إخضاعها للنقد والتصحيح. وعلى سبيل؛ فإن اعتبار كل ما ورد في التوراة هو التاريخ القديم لفلسطين، وأن كل الشخصيات الواردة ذكرها في نصوص التوراة هي شخصيات تاريخية، يتطلب تقديم تفسير مقبول لكل ما يبدو شاذاً وغريباً في تصرفات أبطال هذه القصص؛ إن التوراة لا تقول قط، ولا بأي صورة من الصور، أن الأحداث التي ترويها دارت في فلسطين؛ فكيف أمكن " تليفق " رواية استيلاء القبائل العبرانية عليها. ومن هي القبائل العبرانية التي زحفت مع موسى من مصر نحو فلسطين، ومتى وأين وكيف، وما المقصود باتحاد القبائل الإسرائيلية؟ إن التاريخ لا يعرف أي شئ حقيقي عن ما يدعى " قبائل عبرانية " سوى ما ورد في قصص التوراة؛ بل إن التوراة لا تقول أن نصوصها مكتوبة " بلغة عبرانية " أو إن القبائل الواردة ذكرها هي قبائل عبرانية؟

الفصل الثاني

قَدَس التوراة ليست قُدس فلسطين

يُقصد بقَدَس، الجبل المبارك المُسمّى **جبل قَدَس**- بفتح الحرفين الأول والثاني كما يلفظه اليمينيون- في **مخلاف المعافر** القديم، نحو 80 كم إلى الجنوب من **تعز** باتجاه **عدن**، والذي لا يزال معروفاً، حيث عاش هناك ذات يوم بعيد من التاريخ، شعب عربي من شعوب وقبائل العرب العاربة يدعى بالعبرية **ה-וולשתיים** **فلسطين**، ويدعى في العربية **الفلس** أو **الفلس** (حسب طريقة الكتابة اليمنية وفي نطق بعض أهل اليمن مثل قرشت في قريش، وفرست في فرس). كما يكتب اسم هذا الشعب القديم باستخدام الهمزة والميم في أوله- وهما أداتا التعريف المنقرضة التي حلت محلها أداة تعريف جديدة هي الألف واللام- في صورة (**عم فلس** -**الفلس**) مثل **عم رجل** في **الرجل** و**عم بعير** في **البعير**، وهي لغة في جنوب الجزيرة العربية. لقد صورت القراءة الاستشراقية المخيالية هذا الشعب على أنه شعب من الغزباء عاشوا وأقاموا في فلسطين التاريخية، وأنهم كانوا من المتسللين الذين قدموا من جزيرة كريت (اليونان) واستولوا على أرض الميعاد اليهودي. وهؤلاء- الفلسطينيون- كما تقول التوراة في نصوص متفرقة، عاشوا كجماعة وثنية متمردة ودخلوا في معارك وحروب طاحنة مع بني إسرائيل. وفي الواقع لا وجود لجبل في القدس العربية، كما أنها لا تقع على جبل. ولذلك فنحن الآن في مواجهة الحقيقة التالية: إن **جبل قَدَس**- **قَدَس** هذا، لا يزال يحتفظ باسم الجماعة القديمة التي تدعى **الفلس** وبالضبط تماماً كما ورد في رواية التوراة. إليكم هذا **الاكتشاف**:

يصف الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب) كلاً من الجبل والجماعة القديمة التي عاشت بالقرب منه في أول سراة اليمن، ابتداءً من أرض **المعافر** ف**ساحل بني مجيد**-**مجدو** ف**جبال عدن**. وفي هذا الشريط الساحلي الطويل، نشأت ممالك يمنية قديمة تُعرف بالمخالف (منها مثلاً **مخلاف ذبحان** و**جبأ**- **جبع** و**صبر** و**صحارة** و**وادي الضباب**، ومعظم سكانها من قبائل **همدان** و**الأشعريين**). يقول الهمداني في (صفة: 118- وانظر هامش المحقق حول وادي الضباب) ما يأتي:

ثم يتصل **بمخلاف المعافر** في هذه السراة، بلد الشراعب من **جمير** (والضباب وادٍ في قَدَس من المعافر جنوبي هذا، والضباب أيضاً في **المفالييس**⁶ من المعافر أيضاً) ثم يتصل بسراة الكلاع سراة بني سيف.

⁶ : قارن بين **المفالييس** و**أومفالييس** الكلمة الإغريقية- انظر الهامش التالي

ها هنا قَدَسَ وها هنا المفاليس⁷ (ها-فلستيم. والميم اليمنية-الحميرية بديل من الهاء العبرية كأداة تعريف). يعني هذا أن التوراة وهي تتحدث عن قَدَسَ، وعن ها-فلستيم (الفلستيون من فلست) إنما تتحدث عن هؤلاء حصراً لا عن الفلسطينيين. إن وضع الرواية التوراتية في هذا الإطار الجغرافي هو المفتاح الذهبي في حل ألغاز التوراة برمتها، وفهم السبب الحقيقي لا لعسر نصوصها وبعض تراكيبها المعقدة وحسب، وإنما فهم السبب الأكثر جوهرية في فشل العلماء في العثور على أي دليل علمي يؤكد وقوع الأحداث التي ترويها التوراة في فلسطين. والأهم من كل هذا، أن التوراة لا يمكن أن تُقرأ قراءة صحيحة، إلا إذا وضعت في بيئتها الحقيقية التي ولدت فيها، ونعني البيئة الروحية القديمة لجنوب غرب الجزيرة العربية. ولذلك؛ فإن إعادة وضع الرواية التوراتية في بيئتها التاريخية، سوف يكشف لنا عن الوجه الحقيقي للتاريخ المُتلاعب به، وبشكل أخص رواية التوراة لحادث السبي البابلي. لقد احتكر المخيال اليهودي المعاصر حادث السبي البابلي برمته، ونسبه إلى اليهودية وحدها، مع أن الحادث التاريخي، لم يكن موجهاً ضد جماعة بعينها؛ بل شمل جماعات أخرى. وكما أن هذا الاحتكار يصادر حق هذه الجماعات في استنكاره واستعادته كجزء من تاريخ المنطقة في عصر الإمبراطورية البابلية- الآشورية؛ فإنه يتلاعب في " جغرافية الحادث "، وذلك حين يجري تصوير مسرحه في فلسطين. إن تصحيح هذا الجانب من التاريخ، يمكن له أن يكون تأثير هائل على مستوى مواجهة الفوضى في العصور والأحداث التي تسبب فيها المخيال الاستشراقي. لكل ذلك، سوف نبدأ من لائحة الأسرى التي سجلها كتاب اليهودية المقدس

⁷ : المثير للاهتمام في هذا النطاق أن الإغريق عبدوا – تحت تأثير معبودات وآلهة الفينيقيين- معبوداً " يدعى (أمفالس) Omphalos وهو عبارة عن حجر مخروطي وجد في معبد أبولو (هبل). لقد قَدَسَ الإغريق هذا المعبود بوصفه رمزاً لسرة الأرض (سرّة العالم). هذا المعبود يحيلنا إلى اسم الفلّس ووظيفته ، فهو أيضاً رمز (لسرّة الأرض) والفلّس في اللغة : السرّة. وما يلفت الانتباه أكثر أن كلاً من الفلّس و(أمفالس) عبدا بوصفهما رمزاً لإله الخصب، وتكمن رمزيته الجنسية المقدسة في الشكل المخروطي للعضو الذكري. كما يلفت الانتباه أكثر التماثل بين الاسمين(أمفالس، ومفاليس ولاحظ الهمزة والميم مثل عم رجل في الرجل). للمزيد :أنظر الكتاب الخامس من فلسطين المُتخيَّلة (التوراة الإغريقية)

لائحة أسرى القبائل العربية اليهودية في السبي البابلي

تتضمن القائمة التالية التي أعدها عزرا النبي، للأسرى من القبائل اليمينية اليهودية في بابل، بعد قرار الملك الفارسي قورش عام 539 ق.م إطلاق سراحهم وتحريرهم من العبودية، والسماح بعودتهم إلى أورشليم القديمة إثر سقوط بابل في يده؛ طائفة نادرة من أسماء القبائل اليمينية التي لا وجود لها في فلسطين. إن هذه القائمة التي تُعيد ضبطها في سياق إعادة تحديد المواطن التاريخية الحقيقية للقبائل والجماعات، المنفية والعائدة إلى موطنها بموجب المرسوم الإمبراطوري، تؤكد لنا بشكل قاطع صحة ما ذهبنا إليه، وأن الذين تعرضوا للسبي كانوا من القبائل العربية اليهودية التي وجدت نفسها، ذات يوم من التاريخ البعيد في مواجهة دامية ومتواصلة مع الإمبراطورية البابلية- الآشورية (الوثنية). وهؤلاء لا صلة لهم بفلسطين لا من قريب ولا من بعيد. لقد وقع الحدث برمته وبكل تفاصيله الإنسانية المحزنة في سرة اليمن لا في فلسطين. ولعل القائمة التي سجلها عزرا النبي وتضم أسماء وانتساب الأسرى من أبناء القبائل، تشير بوضوح لا مثيل له إلى أصولهم العربية-اليمينية. وهؤلاء كما سوف نبين، يمثلون جماعات بدوية دانت بدين بني إسرائيل في اليمن القديم، وقد جرى أسرها ونفيها من أوطانها في إطار حملات حربية متتابعة، قامت بها الإمبراطورية الآشورية لبسط نفوذها على سواحل البحر الأحمر. هاكم مُلخصاً عن الرواية كما دونها عزرا (النص العبري: 1: 11: 2: 20).

في العام الأول لسقوط بابل 539-540 ق.م، قرر الملك الفارسي قورش إعادة السبي من القبائل إلى مدنه وقراه الأصلية. ولأجل هذا الهدف نُشر في بابل، نداء الملك الذي تضمن إعلان تحرير القبائل العربية اليهودية، وحقها في العودة إلى موطنها وفي إعادة بناء ما تهدم من مدنها، وخصوصاً-أورشليم التي في يهوده- أي أورشليم (بيت بوس في سرو حمير). كما تضمن قرار الملك الفارسي السماح للعائدين من الأسر، بالحصول على تبرعات من سكان بابل لأجل بناء مدنها المهتمة. والى جانب هذا كله، قام قورش بإعادة مُمتلكات الهيكل المنهوب في أورشليم، وتسليمها إلى زعماء وأنبياء القبائل العائدة. ونظراً لطول النص فسوف نكتفي بأسماء أبرز القبائل والعائلات العائدة من السبي. يقول عزرا ما يلي:

والله-بني-المدني-تعليل-م-سبي-هجوم-هجوم-نبوخذنصر-ملك-ببل-ل-ببل-ي-سوبي-ل-
 يروسل-ويهوده-يش-ل-عير-ش-بئ-عم-زربيل-يشوع-نحميه-شريه-رعليه-
 مردكي-بلشن-مصفر-وبجوي-رحوم-بعنه

(وآله-بني-ها-مدينه-هعليم-م-سبي-هجوم-هجوم-نبوخذ-نصر-ملك-بيل-ل-بيل-
 يشوبي-ل-يروشل-ويهوده-يش-ل-عير-ش-بئ-عم-زربيل-يشوع-نحميه-شريه-رعليه-
 مردكي-بلشن-مصفر-وبجوي-رحوم-بعنه)

(وهؤلاء، أبناء البلاد ممن صعّدوا من السبي، والنفي الذي قام به نبوخذ نصر ملك بابل إلى
 بابل. عادوا إلى أورشليم ويهوده. كل إنسان إلى منزله. والذين جاءوا مع زربيل هم: يشوع،
 ونحميه، وشريه، ورعليه، ومردك وبلشن-بلشن، ومسفر، وبجاي، وبعنه ...)

ثم يضيف النص ما يلي: ومن بين القبائل العائدة من السبي، كان هناك بنو جبر وهم خمسة
 وتسعون نفرًا، وبنو بيت لحم-لخم: مئة وثلاث وعشرون نفرًا، وبنو حريشه، وكروب وأذن
 وأمير. وبعض هؤلاء بحث عن كتاب أنسابه فلم يعثر له على دليل يؤيد انتسابه الصريح إلى
 بني إسرائيل. ولذلك تم استبعادهم من سلك الكهنة، واعتبروا غرباء، فعاش بعضهم في بابل
 إلى الأبد مندمجاً مع السكان. ومع هذا تم السماح لبعضهم الآخر بالعودة ضمن القائمة. ويلاحظ
 في هذا النص انه يستخدم تعبير (هؤلاء أبناء البلاد) أي بلاد اليهودية. وفي قائمة نحميا-
 نحميه الثانية (التي سوف تكتب بعد أكثر من نصف قرن على مرسوم قورش) سنجد أن من بين
 القبائل العائدة ، بنو صيحه، وبنو حسفه، وبنو رصين-رضين، وبنو ناصح، وبنو حجاب، وبنو
 عبيد، وبنو شلمه- سلمه، وبنو شعرنيم (الشعراء) و بنو حشم (نحميا : النص العبري: 7 :
 27 : 59). فأين يمكن للمرء، إذا ما أراد معرفة الحقيقة عن السبي البابلي، أن يعثر على هذه
 الجماعات والقبائل؟ إن فلسطين التاريخية لا تعرف قبيلة واحدة من هذه القبائل، لا من خلال بقايا
 أنسابها ولا من خلال بقايا لغوية تؤكد وجودها. وليس ثمة أي وثيقة تاريخية أو نقش أو سجل من
 سجلات الإمبراطورية البابلية- الآشورية أو الفارسية، يمكن أن تدعم فرضيات الرواية
 الاستثنائية القائلة بوقوع السبي في فلسطين. كما أن فلسطين لا تعرف الأماكن والمواطن
 والمواقع التي تنتسب إليها هذه الجماعات حتى في صورة بقايا لغوية. علماً أن كل هذه الأسماء
 هي لمواقع ومواطن وبتون عربية-يمينية صريحة النسب. هاكم -أولاً- القائمة التي أعددناها عن
 قائمتي نحميا-نحميه وعزرا-عزره :

قائمة القبائل العائدة من الأسر البابلي

الاسم في العبرية	الضبط العربي
1: بنو جبر	بنو جبر
2: بنو بيت لحم	بنو لحم
3: بنو حريشه	حريش
4: بنو صيحه	صيحه
5: بنو حسفه	حسفه
6: بنو رصين	رضين
7: بنو ناصح	ناصح
8: بنو حجاب	حجاب
9: بنو عبيد	عبيد
10: بنو شلمه	سلمه
11: بنو حشم	حشم
12: بنو شعرائيم	الشعراء
13: بنو أمير	أمير
14: بنو أذن	أذن
15: بنو كروب	أكراب
16: بنو عدين	عدين
17: بنو مسفر	السفر
18: بنو جزم	جزم
19: بنو حقوفه	حقف
20: بنو برقتش	برقتش
21: بنو محيدا	الحيدا
22: بنو قروس	بني قريس
23: بنو سوطه	سوط
24: بنو حارف	بنو حارف
25: بنو نطوف	نطوف

تعطي هذه الأسماء فكرة عمومية؛ ولكنها شديدة الأهمية عن طبيعة ومضمون القائمتين الطويلتين لعزرا ونحميا. كما أن الأسماء في صيغها الأصلية توفر للقارئ فرصة التعرف بنفسه وبموضوعية أكبر إلى العدد الحقيقي للقبائل العائدة من السبي.

1: بنو جبر

أقام بنو جبر-بالفتح- وبنو أذن- أذان، قديماً في سرو حمير (سوية مع بني أذان وهم من يافع جنوب اليمن). كما أقاموا في خولان العالية. وقد وصف الهمداني مواطنهم القديمة وأوديتهم ومنازلهم بشكل تفصيلي على النحو التالي (صفة: 172-173):

سرو حمير وأوديته وساكنه: العر لأذان من يافع وذو ناخب لبني جبر منهم، سلب لبني جبر، العقة للأهجر منهم. وادٍ وهم بنو هجر، وفي كل هذه المواضع قرى ومساكن كثيرة أرض حلالهم وأحلافهم من بني جعدة من الأودية: الضباب ووادي حضرة الذي فيه محجة عدن إلى صنعاء.

هذه هي منازل بني جبر وأذان، تماماً كما في القائمتين وفي المكان نفسه الذي استهدفته الحملات الآشورية. إن توصيفاً دقيقاً كهذا يستحيل العثور عليه في فلسطين؛ بينما يمكن- عند وضع الرواية التاريخية عن السبي البابلي في إطارها الجغرافي الصحيح- الحصول على جواب اللغز المحير في قصة السبي، وربما على تصور أكثر دقة عن طبيعة أهداف الحملات الحربية وخط سيرها. وهذا ما يتوافق كلياً مع المصوّرات الآشورية للأسرى (التي كانت تزين جدران المتحف العراقي قبل نهبه في 2003) بوصفهم جماعات من البدو. والمثير للاهتمام أن عزرا ونحميا يشيران في قائمتيهما إلى أعداد الجمال التي سُمح للقبائل بحصرها ضمن ممتلكات العائدين. هذا يعني أن العائدين كانوا جماعات بدوية، ظلت تحتفظ بممتلكاتها من الجمال طوال سنوات السبي في بابل.

2: بنو بيت لحم-لَحْمٌ⁸

وهم سكان موضع يُعرف باسم **بيت لحم- لحم في وادي صيحان** من أرض اليمن. أقام بطن من اللخميّين في العراق وأسس مملكة الحيرة الشهيرة. قال النابغة الذبياني (الديوان، وصفة: 325):

ولحم ملوك الناس يُجبي لهم

إذا قال منهم قائل فهو واجبٌ

3: بنو حريشه⁹-حريش

أقام بنو حريش في **منطقة الفلج** على مقربة من موضعين شهيرين في التوراة، هما مسيل مياه أون ووادي الشكول-ءشكول. هاكم وصف الهمداني (صفة : 264) لمنزلهم التي تُعرف- تاريخياً- بهدار بني الحريش:

(ثم من بطانة العارض من عن يمينه ماءان متدانيان يُقال لأحدها أوان(..) ومياه منها الشكول فتأخذ إلى الطريق الآخر على الهدار هدار بني الحريش أول الجزع فيه لبني خلدة من الحريش)

ويضيف (صفة: 265):

(.. رجعنا إلى الفلج: مهب الجنوب منه المذراع، مذراع بني قشير بن سلمة من بني الحريش ثم الشطبتان وهما نخل ومياه لبني الحريش. ثم العقيق وفيها مائتا يهودي ونخل كثير..)

⁸ : اليمينيون القدماء ينطقون الحاء المهملة خاء معجمة تماماً كما عند اليهود اليوم. وبيت لحم اليمينية ورد ذكرها في قصة مشهورة في مطلع الإسلام، عندما جاء تميم الداري اللخمي إلى النبي محمد-ص- (وكان سائحاً في الجاهلية طاف على البلدان) فقال للنبي-ص-: إن الله مظهرك على الأرض جميعاً فهب لي قريتي من بيت لحم. فلما كان يوم فتح الشام، قال عمر بن الخطاب -رض- أشهد أن النبي-ص- كتب لتميم الداري- اللخمي- ببيت لحم. ترى لماذا يطلب رجل يمني من قبيلة لحم، بحق ملكية قرية بيت لحم في فلسطين بوصفها من أملاك قبيلته المهاجرة من اليمن إلى بلاد الشام، لو لم تكن هناك رابطة حقيقية بين القبيلة لحم والقرية بيت لحم؟

⁹ : حريشه : اليمينيون يزيدون الهاء في آخر الكلمة فيقولون في وادي بيش- بيشه.

تُرى هل هي محض مُصادفة أخرى أن يكون بنو حريشه-حريش في هذا المكان الصحراوي حيث بقايا قبائل عربية يهودية؟

4: بنو صيحة

أقام بنو صيحة في موضع يحمل الاسم نفسه في الجوف اليمني على مقربة من سلسلة مواضع شهيرة في التوراة، ومنها وادي صيد-صيده وبيت بوس. ومن غير شك؛ فإن وجود بني صيحة قرب أورشليم اليمنية التي عادوا إليها من السبي البابلي، يعدُّ أمراً مذهلاً لجهة تطابقه مع وصف الهمداني. هاكم هذه المقاربة بين النصوص:

التوراة: (نصوص متفرقة)	الهمداني (156 - 158):
بيت بوس وكانت أورشليم	بيت بوس وصيحة.
وعاد إلى أورشليم بنو صيحة	

وقد وصف الهمداني منازل بني صيحة في منطقة الجوف اليمني قرب حيفه- حيفا، وهم ممن عاد إلى أورشليم القديمة حسب قول عزرا ونحميا (صفة: 158):

والحيفه- حيفا- وبيت ذانم، فصيحة، فمساك وناعط وبلد الصيد وبه أودية من ظاهر بلد همدان.

5: بنو حشفه

أقام بنو حشف- والعرب عموماً تضيف الهاء إلى آخر الأسماء- في وادٍ من أهم أودية خولان، يُعرف بالاسم نفسه قرب سلسلة من الوديان، والجبال التي سجلتها أسفار التوراة كأسماء منازل للأسباط، مثل حجلة وُصرع وأدير وعاشر وسحر. وقد ورد وصف الهمداني لهذا الوادي ولمنازل هذه القبيلة في (صفة: 215 - 216)

6: بنو رصين-بنو رصين

نلاحظ من نصوص متفرقة من التوراة، كما جرى تحقيق نصوصها وتأويلها في القراءة الاستشرافية، أن المعارك بين بني إسرائيل والآراميين قد تم توظيفها للبرهنة على وجود ملك في التاريخ السوري يُدعى رصين، وأن أحد ملوك مصر كان يدعى سو-سو، وقع في أسر القوات الآشورية في معركة رفح. علماً أن قوائم ملوك سورية ومصر المعروفة لا تتضمن مثل هذين الاسمين، كما أن وجود رصين-رصين في قائمة العائدين من السبي البابلي، بوصفه اسم بطن من بطون القبائل العائدة، يجعل من المُتَعذر قبول خلطٍ مريع من هذا النوع. يعني هذا أن المخيال الأوروبي ظل يتجاهل عن قصد أو عن جهل، حقيقة الالتباس في الترجمة وفي تأويل الأحداث؛ إذ من المستحيل أن يكون رصين اسماً لملك سوري وفي الآن ذاته هو اسم بطن إسرائيلي؟ ولذلك يجب أن يُرسم الاسم في صورة رصين بالضاد المعجمة التي لا تعرفها العبرية. إن العودة إلى وصف الهمداني لمنازل بني رصين (صفة : 220 - 223) سوف تكشف عن هذه الحقيقة.

7: بنو ناصح

أقام بنو ناصحه إلى جوار بني حريش على مقربة من وادي الرمة- وفي القائمتين هناك جماعة عائدة من السبي تُدعى بنو الرمة- وصف الهمداني بإسهاب منازلها وجبالها ووديانها في (صفة: 258)

8: بنو حجاب

أقام بنو حجاب في وادٍ قديم لم يعد اليوم موجوداً، رغم أن الهمداني وصفه بشيء من التفصيل على مقربة من وادي أمير- أمير في القائمة والى جوار بني نُقْد . وهؤلاء لم نسجل اسمهم في قائمتنا وهم سكان أعلى خولان أي قمته. كما أنهم أقاموا قرب منقل السفر-مسفر) ولاحظ الميم وكيفية تحولها إلى أداة تعريف عربية حديثة). هذا المنقل يُدعى اليوم سفران، بينما يُدعى وادي حجاب- وادي الحجابات (بالجمع) (صفة: 128). وبالطبع فمن المستحيل توقع مُصادفة كهذه، أي أن نجد وادي أمير قرب وادي حجاب-حجابات، وعلى مقربة من منقل سفر-مسفر ونقْد- القُد. وهذا هو المكان نفسه الذي عاشت فيه قبيلة بني عبد-عبد (عبده) تماماً كما في قائمتي عزرا وتحميا؟ وهذه، كما هو واضح لنا، مواضع تسمت بها بطون وجماعات يمنية. إننا لا نعرف في فلسطين جماعات كانت من بين الأسرى العائدين من بابل إلى أورشليم، لا تزال تحمل مثل هذه الأسماء والأنساب والألقاب. ويبدو أن العرب القدماء عرفوا القُد- نقْد هذا في رسمه العبري نُقْدُه- نقوده تماماً كما في القائمتين.

وُيستدل من بيت شعر اختلف فيه الجغرافيون؛ أن لبيد بن ربيعة عنى هذا الموضع في قصيدة ذائعة الصيت. قال (البكري، معجم، طبعة بيروت: 4: 108):

فقد نرتعي سبتاً وأهلك جيرةً

محل الملوك نُقْدة فالمغاسلا

9: بنو عبيد

الرسمُ العبري للاسم هو عبيده-عبيدي. ولكن الرسم العربي الشائع في ترجمات التوراة هو: عبيد. ونظراً لافتقاد النص العبري للفواصل، فقد تم دمج الاسم مع اسم جماعة قبلية أخرى من بني شلمة-سلمه، ليصبح الاسم غريب التركيب بعض الشيء: عبيد سليمان. ومع أن لا صلة بين الاسمين إلا في حالة واحدة، أن يُقال مثلاً: أن عبيد هذه هي عبيد سلمه، تماماً كما يُقال اليوم في الجزيرة الفراتية (عبيد طي) في إشارة إلى بطن من بطون القبيلة يدعى عبيد وتمييزاً له عن بطن آخر يحمل الاسم نفسه. يُدلل هذا النموذج على طبيعة العقلية الإستشراقية التي قرأت التوراة، فهي تبحث عن (عبيد) بمعنى خدم مُقترضين لسليمان الملك، كانوا في عداد الأسرى، وذلك من اجل إضفاء طابع تاريخي على الحادث، ولذا وجدتهم في تواتر الاسمين عبيدي-عبيدة وسلمه. في الواقع لم يكن هناك عبيد لسليمان الملك بين الأسرى، بل هناك بطن من قبيلة عبيد ينتسب إلى سلمه، وهؤلاء عاشوا في بلاد الشرق (تكثر الإشارة إلى بلاد الشرق في التوراة وفي قائمتي عزرا ونحميا ويُسجل الاسم سوية مع بني سفر وحجاب ونقد وبني أمير). وهذا أمر آخر مثير للاهتمام، لأن فلسطين لا تعرف مثل هذا التعبير؛ بينما يكثر الهمداني- على غرار النص التوراتي- من استعمال وصف بلاد الشرق.

أقام بنو عبد-أو عبيدة الذين يعرفهم التاريخ بوصفهم من قبائل زبيد، كما أنهم من بطون بني حريش في مخلاف عامر على مقربة من بني سلمه- شلمه، وفي المحافر قرب محافظة حجة (والمحافر هذه تسجلها التوراة في صورة محفر) تماماً كما في قائمتي عزرا ونحميا. وقد وصف الهمداني منازل الجماعتين بدقة (صفة: 181- 183) .

نخلص من ذلك إلى تأكيد الحقيقة التالية: ليس ثمة عبيد لسليمان في حادث السبي البابلي، ونبوخذ نصر لم يأسر بكل تأكيد عبيداً لملك مات قبل عدة قرون سابقة عليه؟ وهل من المنطقي أن يظل عبيد الملك على قيد الحياة بعد كل هذه القرون؟ وهل بقي عبيد لملك لم يبق من أثر لمملكته عام السبي؟ وهل هي مُصادفة أخرى أن نعثر على القبيلتين إلى جوار بعضهما؟

10: بنو سلمه

يقول النص العبري عن بني عبد- سلمه ما يلي: (وعله-هعليم-م-تل- ملح) (وهؤلاء صعّدوا من تل الملح) . ومع هؤلاء : بنو حريشه، وأذن وكروب وأمير. وهذا النص يتطابق حرفياً مع وصف الهمداني (صفة : 203 - 204) لمخلاف رداع وثات الذي أقامت فيه قبائل سلمه (..). وكذلك لمخلاف مأرب حيث جبل الملح.

11: حشم وجذم

تتنسب قبيلة حُشم إلى جذام-جزم (العبرية تفتقد إلى حرف الذال المعجمة وتستبدله بالذال المهملة أو الزاي) القبيلة الأكثر شهرة عند العرب (جزم في قائمة عزرا ونحميا) وهي من بطونها التي هاجرت إلى مصر. ومن غير شك؛ فإن وجود حُشم وجذام ضمن القائمتين يؤكد أن القبائل العائدة من السبي، إنما عادت إلى بلادها القديمة ومواطنها مع بني حريش وبتونها من سلمة وعبد.

12: شعرائيم

يعطي المترجمون لهذا الاسم، عادة وحيث ما ورد في نصوص التوراة، مكافئاً غريباً هو: الباب- الأبواب. ويبدو أن الحيرة تملكت المترجمين حين وجدوا أنفسهم أمام قائمتي عزرا ونحميا التي يظهر فيها اسم قبيلة من القبائل التي أسرها نبوخذ نصر تُدعى شعرائيم. واستطراداً في المخيالية، تمت مكافأة الاسم ب (البوابين). وبذلك أصبح لدينا قبيلة لا وجود لها ويستحيل العثور عليها هي (قبيلة البوابين). في الواقع ليس ثمة قبيلة تُدعى (البوابين) من بني إسرائيل، بل هناك قبيلة عربية-يمينية بائدة عاشت في موضع الشُعراء-شعرائيم (اسم الجمع العبري من شعر وهو جبل شهير وصفه الهمداني في مواضع كثيرة). إن كلمة شُعراء (اسم الجمع من شعر) يكتب في العبرية في صورة شعرائيم. اليمينيون يطلقون على الأشجار الكثيفة في المناطق الجبلية والوعرة والتي لم تمسها يد الإنسان تعبير شُعراء.

13: بنو أمير

تقول واحدة من الروايات الشعرية، أن بعض رواة الشعر الجاهلي قرأ قصيدة ورد فيها اسم " أمير" ز وعندما سؤل عن معنى أمير في قصيدته لاذ ف بالصمت، فقال له أعرابي أن أمير اسم وادٍ. في الواقع لم يكن كثرة من رواة الشعر الجاهلي يعرفون بعض الأسماء الواردة في القصائد.

واسم وادي أمير هذا، ظل منسياً في ذاكرات الرواة لقدمه وربما لبُعدِه عن البادية العربية، فكانوا يُخطئون في تحديده. إن فلسطين التاريخية لا تعرف قبيلة تنتسب إلى واد يُدعى أمير؛ بينما تعرف جغرافية اليمن القديم هذا الوادي والقبائل التي أقامت فيه. هاكم وصف الهمداني (صفة: 134):

وادي مَوْر وهو ميزاب تهامة الأعظم ثم يتلوه في العِظْم وبعْد المآتي
زبيد ومساقِي مَوْر تأخذ غربي همدان، وبعض غربي خولان وكريف
خولان ويُسمى ما يصل إليه: أمير.

14: بنو أذن- أذن

أثار اسم هذه الجماعة الالتباس عند محققي ومترجمي النص العبري؛ فظنوا انه ذاته السبب الإسرائيلي (دان). ولذا رسموا الاسم في صورة أذان، والصحيح أذن-أذن كما في النص العبري. والتاريخ العربي يعرف اسم الملك اليمني سيف بن ذي يزن (إذن) وهم من القبائل البدوية التي عاشت عند أطراف نجران الرملية. وهذا ما يفسر قول النص: إنهم عادوا مع جمالهم التي بلغت أربعمئة وخمسة وثلاثون جملًا. وبعض بطونهم عاشت بالفعل في سرو حمير قرب جبل العر، وكانوا يحملون الاسم نفسه أذان، وقد وصف الهمداني منازل هذه الجماعة البدوية (البطن القبلي من أذان اليمنية) التي عادت إلى يهوذه- وأورشليم (صفة: 228 - 229) أي إلى السراة اليمنية وليس إلى فلسطين:

15: الأكراب

أقام بنو-الأكراب في مخلاف عامر الساحلي على مقربة من أخوتهم بنو عزا- عزان وبنو سلمه؛ تماماً كما في نصي عزا ونحميا. وقد وصفهم الراجز اليمني الرداعي في أرجوزته عن الحج على النحو التالي (صفة: 355):

فالضمانين إلى الشحباب

فالأجرعين فحمى الأكراب

مواطناً مكلثة الجناب

فأحرماً منها إلى الثعالب

وهذا الرجز يحدد-على غرار قائمتي نحميا وعزرا- موضع بني ءحرم قرب الأكراب. وبنو ءحرم من حكام صور اليمنية، وقد سجلت التوراة اسمهم في صورة ءحرم ملك صور الذي ساعد سليمان الملك في بناء هيكل الرب حين أرسل له الأخشاب من وادي صور. وبالطبع فمن غير المنطقي تخيل أن سليمان كان قادراً على استيراد الأخشاب من صور اللبنانية، بينما يشتهر وادي صور اليمني العظيم بأنه من أعظم الوديان في إنتاج الأخشاب. ولعل قصة الحريق الذي التهم الأشجار في صور اليمن (وورد ذكرها في حديث شريف) يدلل على حقيقة أن صور اليمن اندثرت بفعل حريق بركاني مدمر.

16: بنو عدين-عدين

يُطلق اسم مخلاف الكلاع في الماضي البعيد لليمن على ما يُعرف ببلاد ذي السفال (انظر السفلى عندنا في مرويات التوراة عن الفلسطينيين). كما يطلق على بلد حبيش وعلى عدين- تصغير عدن-. وقد وصف الهمداني ومحققه موضع بني عدين اليمنيين (صفة: 118) في بلد الكلاع - بالفتح- التي اشتهر سكانها بالحقاق النون في كلامهم (فهم يقولون في صنعاء- صنعن ولا وجود للنون اللاصقة إلا في العبرية واللهجات اليمنية).

17: بنو حقوفه-حقف

يُعد وادي الأحقاف (جمع حقف) من أودية حضرموت في بلد مهرة، وهو رمال تُعرف باسم رمال الحقف-مفرد أحقاف.وفي الموروث الديني والمثولوجي للعرب القدماء وللقبائل اليمنية؛ فقد دفن النبي هود- يهوده (يهوذا) في هذا المكان داخل كهف.قال الراجز اليمني الرداعي(صفة: 400):

ثم استنطفت كقطاة الحقف عن منزلٍ شازٍ قليل الوقفِ
تعتسف المومة أي عسف براكبٍ لم يدرِ ماذا يخفي

يقول الهمداني (صفة: 169-170) عن وادي حقف-الأحقاف ما يلي:

وساكن شبام من حمير ثم تريس وهي مدينة عظيمة، وينحدر المنحدر منها إلى ثوبه قرية بسفلى حضرموت في وادٍ ذي نخل، ويفيض وادي ثوبه إلى بلد مهرة وحيث قبر النبي هود، وقبره في الكثيب الأحمر ثم منه في كهف مشرف في أسفل وادي الأحقاف، وهو وادٍ يأخذ من بلد

حضر موت إلى بلد مهرة مسيرة أيام وأهل حضرموت يزورونه هم وأهل مهرة في كل وقت.

18: بنو براقش-برقش

أقام بنو برقش إلى جوار أخوتهم من بني حقف في موضع يحمل اسمهم (براقش). وحول هذا الموضع دارت سلسلة من أساطير لقمان الحكيم¹⁰. والهمداني يقدم وصفاً مسهباً عن مواضع هذه الجماعة (صفة: 170-171) فهم يقطنون سوية مع بني حقف قرب قبر النبي هود في الكثيب الأحمر أسفل وادي حضرموت. يقول الهمداني (ولاحظ استخدامه لتعبير شَعْرَاء): ومن أوطان الجوف: معين¹¹ وبراقيش ثم كمننا وروثان (..). وأتان إلى وتران. كل هذا شَعْرَاء بين شاكِر والشعر أودية كتاف، يسيل إلى العقيق، والعطف، وضدح، وإدٍ لأمير ينتهي إلى الغائط والحضن بنجران لها ولأمير. والمشهور من محافد اليمن وقصورها القديمة التي ذكرتها العرب في الشعر والمثل، قصور ناعط وصرواح وسلحين وريام وبراقيش ومعين وروثان والنجير بحضرموت.

19: بنو محيدا-بنو الحيدا

أقامت هذه القبيلة في وادٍ يُعرف بالاسم نفسه هو وادي الحيد-محيد على مقربة من أخوتهم بنو معين-معونيم عند عزرا ونحميا. هاكم مقارنة أخرى :

¹⁰ : انظر كتابنا : شقيقات قريش ففيه تفصيلات وافية عن أساطير براقش. (شقيقات قريش: الأنساب والطعام

في الموروث العربي- بيروت، رياض الريس للنشر 2000)

¹¹ : معين : مملكة يمنية مزدهرة لعبت دوراً بارزاً ومشهوداً في الحضارة اليمنية القديمة. عاش الشعب المعيني في منطقة الجوف في عصر يعود إلى ما قبل القرن الخامس عشر قبل الميلاد، عندما كانت الجوف (ما يعرف اليوم بمنطقة الحزم شمال شرق اليمن) هي المنفذ التجاري الأهم الرابط بين جنوب وشمال الجزيرة العربية، ولا تزال نقوشها تتضمن الكثير من وقائع التاريخ غير المكتوب بعد. وإلى هذا فإن بعض الحروف التي استخدمتها تشبه طريقة رسم الحرف العبري.

نحميا :	الهمداني 232
وبنو بيصه ثلاث مئة وأربعة	ووادي الحيد ووادي خُلب (..) وعثر ساحل
وعشرون (..) وبنو محيدا	جليل، ووادي بيض.

هذا هو الساحل وهناك وادي بيصه- بيض ومحيد- الحيد.

20: بنو سوطه-سوط

أقامت هذه الجماعة في موضع يحمل الاسم نفسه؛ هو وادي سوط في اليمامة وكان-في عصر الهمداني لبني جَرْم (بيت تُجرمه¹²) وورد ذكرهم في وصف أودية اليمامة وقبائلها (صفة:253):

21: بنو حارف-خارف

في النص العبري يُسجل اسم الجماعة، وعدد أفرادها العائدين إلى يهوذا على هذا النحو: بني-حرف-مئة-شليم-عشر (بنو حارف مئة واثنان عشر). ولأن العبرية لا تعرف حرف الخاء المُعجمة، فقد استعاضت عنه بحرف الحاء المهملة (حارف). والضبط الدقيق للاسم هو قبيلة خارف اليمانية الشهيرة التي عُرفت بموطنها القديم حارف. (الهمداني : صفة: 220- 221) في أول حدود حاشد حيث رُحابة وما وراءها إلى صنعاء، ثم البون وهو من أوسع قيعان نجد اليمن، ثم قريس وصيحة ومساك وظبرة وهي لبني حاطب من الخارف. أما أسواق حاشد فأولها وأقدمها سوق همل، وهمل من الخارف وهي سوق جاهلية وباري للفانئش-الفانئش¹³ وهم من قبائل الجبر-جبر .

25: نطوفه¹⁴-نطوف

يُرسم اسم هذا الوادي بدقة في بيت شعر لأمية بن أبي عائذ في صورة وادي النطوف، من دون الهاء الزائدة. ومن الواضح أن اللهجات القبائل وأشكال نطقها للحروف، أكثر من دور حاسم ومكرس لطرائق النطق عند الآخرين وفي ظهور أساليب رسم متباينة كذلك. قال أمية بن

¹² : انظر الاسم في مرثية حزقيال لمدينة صور.

¹³ : تخبرنا التوراة أن ع ليفاز- أليفاس (أليفاز في الرسم الشائع) هو من عيصو. وعند الهمداني هم الفانئش- باستبدال الزاي بالسین مثل أزد- أسد) وهم بطن من جبر وجدهم الأعلى العيص- عيصو. أليس هذا التماثل مدهشاً؟ انظر نسب الفانئش في الإكليل للهمداني وفي التوراة.

¹⁴ : الهاء الزائدة من لهجات العرب

أبي عائذ راسماً الاسم على نحو مُطابق للرسم العبري (معجم البكري، طبعة بيروت: 1:
:113)

لمن الديارُ بعليَ فالأخراصِ

فالسودتين فمجمع الأبواصِ

فضُهاء أظلمَ فالنطوف فصائف

فالنمر فالبرقات فالأنحاصِ

وعند كثير الشاعر اليمني، يُعد النطوف من أودية تهامة اليمن على مقربة من هضبة
جبل¹⁵، وبطن السرير وأسفل وادي الرمة. وقد رسمه الهمداني على جري عادات العرب
الصوتية في صورة نُطاف استناداً (صفة: 259) باعتباره من وديان بطن السرير أسفل وادي
الرمة (..) وهي على التوالي : عكاش وُخف والنُطاف.

هذه-بصورة إجمالية-القبائل والجماعات العائدة من الأسر البابلي إلى سلسلة جبال يهوذه. وهي
كافية للتأكيد على ما ذهبنا إليه (ويمكن في مناسبة أخرى نشر القائمة كاملة) . فهل هي مصادفة
أن القبائل التي وقعت في الأسر تحمل الأسماء نفسها كما في نصوص التوراة والهمداني والشعر
الجاهلي؟ بينما لا تعرف فلسطين اسماً واحداً مما ورد في القائمتين؟

¹⁵ :اسم جبله اليمنية هذه نقلتها القبائل العربية المهاجرة إلى الساحل السوري وهي اليوم هناك.

الفصل الثالث (

إعادة بناء أورشليم في سرارة اليمن

في العام 446 ق.م، وبعد نحو سبع وثمانين عاماً من سقوط بابل في قبضة الفرس، أصدر الملك الفارسي إرتخششتا الأول، أمرا " ملكياً جديداً يُسمح بموجبه لبقايا اليهود من القبائل العربية-البائدة-التي أسرها الآشوريون، ولم تتمكن من الاستفادة من مرسوم الملك قورش، أن تعود إلى مواطنهم الأصلية. بيد أن أهم ما جاء في المرسوم، كان التأكيد على حق الأسرى العائدين في بناء ما تهدم من مدنهم وقراهم، ومنها بشكل أخص العاصمة الدينية أورشليم. وبموجب هذا المرسوم عاد نحميا النبي (الذي وضع القائمة الأصلية بالعائدين) إلى أورشليم. كان الفارق الزمني بين قائمتي عزرا 540 ق.م وقائمة نحميا 446 ق.م، يشير إلى أن حل مشكلة بقايا الأسرى قد استغرق نحواً من سبع وثمانين عاماً، وأن نحميا النبي نفسه (الذي لم يكن قد ولد في عام سقوط بابل 539 ق.م) هو في عداد هؤلاء المستفيدين من المرسوم الجديد. وفور عودته إلى موطنه في سرو حمير، مكث نحميا- نحميه ثلاثة أيام في منزله، قبل أن يُباشر بدعوة سكان أورشليم إلى الشروع الجدي والنشط في العمل على ترميم ما تهدم منها. وكنا نتبعنا في ما مضى من صفحات أسماء هذه القبائل.

واستناداً ص إلى النص العبري من التوراة، فقد انطلق نحميا ليلاً من موضع يدعى شعر، وهو كما قلنا جبل شعر، وليس ثمة في فلسطين جبل بهذا الاسم) فبلغ مكاناً وادياً شهيراً يدعى وادي عيان. ثم وصل أثناء تفقده للأسوار وادياً يدعى ها-تتين-التنين، حيث رأى بنفسه الخراب الذي عم أسوار المدينة في موضع فروصيم-الفراضم، وشاهد ما تركته النيران هناك من أثر مدمر. ثم اجتاز المكان متجهاً من (جبل شعر ووادي عيان) إلى موضع عل-بركت-سلوه-مياه سلوه قرب جن-جن، قبل أن يصل وإلى وادي ها-ملك -المالك ثم وادي جنات-جنات. وأخيراً وصل نحميا-نحميه النبي إلى تحتم و بهمه) وحتى اليوم هناك قرية في الساحل السوري تسمى كفر بهم، قبل أن يجتاز الوادي من جبل شعر مرة أخرى في طريق عودته. ولم يكن أحد من الكهنة، إذ ذاك يعلم بخطط نحميا بخصوص إعادة بناء أورشليم. ويبدو أنه حرص على جعل الأمر أقل إثارة للخلاف، بسبب تحفظات القوى الطامحة إلى لعب دور رئيسي في إعادة البناء. وأكثر القوى طموحاً هم الكهنة والقبائل اليمنية اليهودية التي لم تتعرض للنفي، وظلت في أرضها وأوطانها. ومع ذلك سرعان ما تسربت الأنباء عن عزم نحميا قيادة عمليات البناء.

كانت إعادة البناء ترتبط-من المنظور السياسي-بالصراع على عرش داود، أي بالصراع على تسميته ملك جديد في مملكة يهوذا (قوم هود في المرويات العربية الإسلامية). فضلاً عن ارتباطها بحساسيات قبائلية بعضها يتصل بمسألة الخوف من تمنع الفرس، وربما غضبهم من عودة المملكة اليهودية إلى واجهة الأحداث. وهذا بدوره كان يتلزم مع مخاوف تقليدية من تنامي دور الغميراطورية الفارسية في السراة اليمينية بعد أن أصبحت فارس الإمبراطورية الأعظم في المنطقة. هذا النفوذ-كما سنبرهن-بدأ اعتباراً من هذه اللحظة، ولسوف يستمر طويلاً. وفي الواقع؛ فإن الأساس التاريخي للنفوذ الفارسي في اليمن والذي تجلى في انصع صورته في الصراع الروماني-الفارسي، منذ سقوط ميناء عدن في يد القوات الرومانية نحو العام 50 ق.م؛ إنما يعود إلى هذه اللحظة بالذات، وحيث ارتبط منذئذ بفكرة التحرير. وسوف نرى أن فكرة التحرير الفارسي لليمنيين، أي تحرير القبائل اليمينية اليهودية من الأسر البالي، ذات وشائج ثقافية حميمة بالتحرير الفارسي لليمن من نفوذ الحبشة المسيحية، الوكيل القوي لروما في المنطقة نحو العام 570 للميلاد. إن بعض أوجه المقاومة التي ظهرت إبان محاولة نحميا قيادة عمليات بناء أورشليم، تكمن في التنافس المحموم بين القبائل العائدة من النفي، وتلك التي ظلت في أرضها، وهو تنافس تقليدي بين العائدين الطامحين إلى الزعامة، والقوى المحلية. كما أن بعض أوجهها الأخرى تتصل بالصراع بين الوثنيين والموحدين.

سارعت قبيلة جشم اليمينية-العربية البائدة(والتوراة تقول إن جشم قبيلة عربية وتسميها جشم العربية حرفياً) مع أولى الأنباء عن شروع نحميا في عمليات إعادة البناء الى قيادة معارضة قوية، انطلاقاً من إحساسها بأن هذه العمليات سوف تؤدي إلى الصدام عاجلاً أم آجلاً مع الفرس، وبالتالي تكرار الأحداث المأسوية التي عاشها هؤلاء مع الاحتلال الآشوري. كما وجد العمونيون- سكان نجران- في التصدي للمحاولة ومقاومتها، فرصة لمنع تكرار الاضطهادات التي تعرض لها هؤلاء في عهد داود و أسلافه. أي:مقاومة عودة الاضطهاد الديني الذي مارسنه اليهودية ضد الوثنية والوثنيين في نجران. ومع ذلك؛ وبالرغم من وجود كل هذه القوى المُتمنعة، قرر نحميا المضي قدماً في أعمال البناء والمباشرة فيها. وسرعان ما انظم عدد من كهنة الجدول على عمليات إعادة البناء.

بدأت أعمال البناء الأولى- وحسب وصف نحميا نفسه- من موضع شعر وضئ-ضأن(غنم الذي كان موضعاً مقدساً) وصولاً إلى مجدل – مجدل، فالى حزن-ءيل. ثم استمرت من شعر- ها- دجيم إلى تتوريم و بركت-سلوه.وتواصلت بعد ذلك من مياه سلوه إلى وادي جن ووادي-ها-ملك حتى غير-دويد (منازل دويد) مروراً بموضع قبره-مقبرة، فالى بيت جبريم-بيت الجبر. ومن بركت-ها-عشويت-بركة العشتين حتى نشق-أرض نشق فالى فتح-فتح، وبيت اليشب-ءلشب (الشبا).ومن بيت ها-ملك و ها-عليون إلى وادي حصر-حضر.

وأخيراً امتدت أعمال البناء في مطره- مطرة. هذه هي أسماء المواضع التي تفقدها نحميا قبل أن يباشر في أعمال ترميم أسوار العاصمة الدينية أورشليم، بمساعدة وتأيد مباشرين من الكهنة.

وصف أسوار أورشليم

رأينا من موجز القصة، أن نحميا تفقد مواضع أسوار المدينة المحترقة والمدمرة، قبل أن يشرع في إصلاحها بالرغم من وجود قوى معارضة. ولا بد - في إطار هذا السرد- من ملاحظة أن كلمة شعر العبرية تؤدي معنى باب، مثلما اجتهد المترجمون وهو اجتهاد صحيح. لكن المعنى لن يستقيم في حال اعتماد هذا المكافئ، إذ لا يقصد سارد النص أن نحميا سار كل هذه المسافة لينطلق من (الباب) بل قصد الإشارة إلى جبل شعر الذي انطلقت منه اعمال البناء في الوديان. وهذا ما نراه بوضوح في جملة: (وعصنه-ب-شعر-ها-جي-ء- ليله) أي (وخرجت في شعر المرتفع ليلاً). ولو كان المعنى المقصود ينصرف إلى (الباب) لما أضاف سارد النص كلمة هجيء، أي: المرتفع، لأن لا أبواب للوديان كما نعلم. هذا يعني إن المقصود ليس باباً من أبواب المدينة وحسب، وإنما وادي جبل شعر نفسه، وهو كما رأينا مخلاف شهير من مخاليف اليمين. وهكذا، وقبل أن تنتقل أعمال ترميم الأسوار من هذا المكان، اتجه النبي إلى (فني-عين-ها-تتين- وأل-شعر-ها-ءشفت) أي: إلى أمام وادي عيان ووادي تتين فالى جبل شعر فوادي الشفاه. وبالطبع فهذه أسماء أماكن يستحيل العثور عليها في القدس العربية. على هذا النحو شاهد نحميا الحطام الذي تركته الحرب في أسوار أورشليم الممتدة حتى موضع فروصيم. واللافت للانتباه، أن المترجمين الذين لم يعثروا على مكافئ عربي مقبول لكلمة فروصيم، اعطوا مرة أخرى أعطوا المعنى التالي (باب الزيل). وفي الواقع لا يوجد (باب للزيل أو النفايات) في مدينة مقدسة مثل أورشليم، بل موضع يُدعى فروصيم- فراضم (والعبرية لا تعرف حرف الظاد وتستبدله بحرف الصاد مثل عرض- عرض). وهناك؛ شاهد نحميا أيضاً كيف أن النار التهمت أجزاء واسعة من الغابات: (وشعريه-ءكلت-ب-ءيش) أي (والشعراء أكلت بالنيران). وهذا يؤكد المعنى الحقيقي لكلمة شعر- شعريم، أي أن الأشجار الكثيفة. وكنا رأينا أن كل مكان كثيف الأشجار ولا دخل ليد الإنسان فيه يُدعى عند اليمنيين القدماء شعر- وشعراء. ثم اجتاز نحميا موضع الشعر هذا متجهاً صوب وادي عيان، وصوب البركة ثم وادي الملك: (وءعبر-ءل-شعر-ها-عين-وءل-بركت-ها-ملك). أي (واجتزت الشعر وعيان والبركة ووادي الملك) وبالطبع لا يستطيع السائر في القدس العربية أن يمشي في هذه المواضع، لأنها أصلاً غير موجودة.

في هذا السياق سنتوقف أمام الجملة الإشكالية التالية يقول نحميا(وعين-مقوم-ل-بهمه-ل-عبر-تحتة). وقد أعطى المترجمون الجملة التالية (فلم يكن للداية التي تحتي مكان تجوز عليه) بيد أن الجملة-حرفياً- لا تقول هذا المعنى وليس ثمة ما يبرر مثل هذا الوصف؛ إذ من غير المنطقي أن

تكون الوديان خالية من موطيء قدم لدابة، وهي وديان فسيحة مترامية الأطراف؟ ما يقصده النص هو التالي: (ليس من مسكن، الى بهمه حتى تجتاز التحت). وهذان الموضعان (بهمه و التحت) هما في المكان نفسه الذي وصفه نحemia .

ليس ثمة دابة لم يجد راكبها موطيء قدم لها، بل هناك موضعان بالاسمين نفسيهما. رأينا، مما سبق، أن نحemia يصف مواضع كثيفة الأشجار (أي غابات محترقة) لم تدخل فيها يد الإنسان على امتداد الوديان؛ ولذا سيكون أمرا "منطقيا" أن لا يشاهد-هناك- أي مساكن للقبائل، علما" أننا أشرنا الى حقيقة أن مواضع شعر وشعراء ظلت أماكن لرعي القبائل البدوية حتى اليوم. بعد ذلك صعد نحemia في الوادي ليلا"، وكانت الأسوار أمام ناظريه محطمة، فمضى عائدا" في شعر الوادي يدعو الكهنة وعموم اليهود والقبائل الى إعادة بناء أسوار المدينة. وقال لهم¹⁶:

**ואמר-אלם-את-ראיתם-הרעה-אשר-ירושלים-ה-חריה-ושר-יה-תצאתו-באיש-
לכו-ונבנה-את-ה-חומת-רושלים-ואל-נהיה-עוד-חרפה**

(وعومر-علمهم-اتم-رئيم-ها-رعا-عاشر-عنحنو-به-عشر-يروشليم-ها-
حربه-وشعريه-نصتو-ب-عيش-لكو-ونبناه-ت-ها-حومت-يروشليم
ولء-نهيه-عود-حرفه).

ما يقوله هذا المقطع من النص هو التالي:

(فقلتُ لهم: انتم رأيتم-الرعا-الذي نحن فيه. وأورشليم المخربة التي احترقت بالنيران، فلنقم ونبني أسوار أورشليم حتى نهيه وعود وحرف)

تعرض هذا المقطع الى تشويه فظيع؛ حين كافأ المترجمون جملة (واأل-نهيه-عود-حرفه لء-
نهيه-عود-حرفه) الى (ولا نكون عارا بعد اليوم). ومع أن مؤدى الجملة العبرية لا يشير لا من قريب ولا من بعيد الى العار-الذي تكرر في كلام نحemia من دون ميرر- بسبب الترجمة الخاطئة- فإن المترجمين الذين يجهلون المواضع التي شهدت ولادة وموت أورشليم القديمة، لم يترددوا في إعطاء تأويل عشوائي آخر، فقد تحولت كلمة ها-رعا الى العار، مع أن كلمة رع العبرية وليس ها-رعا هي التي تؤدي معنى الإساءة أو الخزي. كما تحول وصف نحemia للمواضع التي يريد إصلاحها وترميمها- من أسوار المدينة- الى جملة إنشائية عن العار الذي سوف يلحق بها.

¹⁶: هنا إعادة تحليل للنص نفسه بسبب الحاجة إلى مزيد من التفاصيل بشأن وصف أورشليم، وهذا ما أملى علينا تكراره

ولسوف نرى أن مواضع **ُنْهيه وحرف والرعا وعود**، هي من أهم المواضع التي ارتبطت تاريخياً ببيت بوس-أي: بأورشليم اليمينية.

ما إن سمع سنبلط الحوروني- من وادي حوران- وطوبيا- من بني عمون- و**جشم ها-عربي** (جشم العربي) حتى تعالت اعتراضاتهم على الفكرة، لا تخوفاً مما يمكن أن يجلبه ذلك من مخاطر، وإنما لأن نحميا استنتى هذه الجماعات من حق المشاركة أصلاً. اثر ذلك؛ بدأت عمليات إعادة البناء التي قادها كاهن الجدول بدء من موضع شعر وصنن-ضأن (غنم)؛ فأصلحوا المداخل حتى مجدل وها-مأه المقدسة، وكذلك عند مجدل حنن-ءل (الحننا) حيث تسابق الرجال، فامتدت أعمال الترميم إلى طرف جبل شعر ووادي دجيم (وادي الدجوج) فأصلحت المداخل والأبواب والمخارج. ثم بلغت تخوم أورشليم القديمة عند أسوار (ها- رحبة و المجدل) من جهة وادي تنوريم-نوريم. كما امتدت إلى مخارج جبل أَلَف- ءنف وفي عمه و حوامه وعند شعر من جهة ها-شفوت (الشفاه). ثم من السور الذي في ركبت-الركب وسلوه-سلوه، وصولاً إلى وادي جن-جن ووادي ها-ملك-الملك؛ فألى عير-دويد (منازل دويد).

هذه – بإيجاز شديد- هي أورشليم التي عاد إليها المنفيون، وباشروا أعمال البناء في أسوارها المهدامة. ومن غير أدنى شك؛ فإن السرد الدقيق الذي قدمه النبي نحميا- نحميه هو توصيف لمدينة لا صلة لها بمدينة القدس الفلسطينية، إذ لا وجود فيها لأي مكان من الأمكنة الواردة في النص. وسوف تتجلى المفارقة الكبرى حين ندقق في قائمة أسماء القبائل والجماعات التي شاركت في بناء المدينة، فهي قبائل عربية-يمينية دانت بدين اليهودية لا تزال بقاياها هناك في السراة اليمينية وليس في فلسطين. لقد وصف الهمداني سائر هذه المواضع قرب بعضها البعض، فتعالوا نتتبع الطريق على أورشليم التوراة، ونُعيد اكتشافها لنفرغ نهائياً من الخرافة القائلة أن القدس هي أورشليم.

في وصفه لشرق صنعاء الذي يقع بينها وبين مأرب، نعني مخلاف خولان- جولان التوراة أعظم أودية اليمن وأكثرها خصباً وشهرة ، يحدد الهمداني سائر المواضع المذكورة في هذه القائمة، وبالصيغ ذاتها وحسب تسلسل وقوعها في السراة، بدء من بيت بوس. ومن أجل تقريب صورة أورشليم اليمينية-التوراتية، سنقوم بإعطاء وصف مكثف للأماكن. قلنا أن التوراة تسمى أورشليم بيت بوس، كما أن مخلاف اليهودية عرف باسم أورشليم أيضاً. أي أن اسم أورشليم يُطلق على المملكة-المخلاف: يهوذه باعتباره دار سلام(كما يطلق على بيت بوس في آن واحد). وحسب النص أعلاه؛ فإن نحميا تفقد الأسوار في المدينة ثم شرع في البناء على امتداد السرو، أي على امتداد السراة الجبلية. هاكم وصف الهمداني لبيت بوس اليمينية، وما جاورها من سائر المواضع الواردة في القائمة وفي سياق النص أعلاه (صفة: 153- 165- النص مُختصراً):

وتفضي-السيول-إلى موضع السد بين مأزمي مأرب ثم الحرجة وحزمة البشريين (حزمة البشريين تسمى اليوم: سلوه في وادي عبيدة وفيها آثار عظام- المحقق). ثم الجوف وهو منفهق من الأرض فيه أنف، ويفضي إليه أربعة أودية وما أقبل من أشرف نقيل السود فبيت بوس (..) ومطرة وفيها أودية كثيرة (..) فالرحبة إلى حدقان (..) ويلتقي بمياه الخارج التي هبطت من صنعاء ومخاليقها فتلتقي بالمناحي ثم يصبان بعمران من أرض الجوف. وهذا الجانب

لبنى نشق وبني عبد بن عليان. والوادي الثالث يظهر في زاويته وحوام
والمناحي لبني علوي(..) فتلقاه سيزل بلد بني حرب (...). وسيل الفقع
والمصرع وعيان والمقبرة ويلقي هذه المياه إلى ناحية الواغرة الشبا.

وإذا ما سرنا على خُطى نحما والهمداني انطلاقاً من بيت بوس-أورشليم، وتفقدنا أسوار المدينة
المحطمة في السراة الجبلية، ثم مضينا في الأودية المحيطة بها، فنطابق بين الأسماء في النص
المقتطف من الهمداني مع جزء من قائمة نحما؛ فسوف نكون وجهاً لوجه ودفعة واحدة أمام أكثر
من عشرة مواضع-مما ورد في القائمة-ها هنا بيت بوس وهي أورشليم كما تقول التوراة، والى
الجوار بركة سلوه- مياه سلوه، ثم مطره وأوديتها الكثيرة . وقبل أن نتجه نحو بيت نشق-نشق
عند الهمداني- سنتجه نحو عيان-عيان في القائمة-ثم إلى بيت يشب-الشبا. وها هنا
المقبرة (قبره). وعدا هذا كله، هناك جبل ألف-ءنف التي توهمها المترجمون كلمة دالة على
القياس (ألف ذراع) مع أن النص العبري لا يشير إلى ذراع أو ياردة أو أي وحدة قياس. وها هنا
الرحبة-ها- رحبة والعشتان-عشتوت. هذا الفضاء الجغرافي المتكامل يتيح لنا فرصة التأمل
عميقاً في مغزى القصة التوراتية عن إعادة بناء أورشليم، بوصفها فكرة تنبع في الأصل عن
استطراد ثقافي لتقاليد بناء الأماكن الدينية أو المحرمة. وبالفعل؛ فإن أورشليم القديمة كما عرفها
اليمنيون كانت مدينة الضعفاء من الناس، من الحرفيين والمتكسبين الذين لا يجيدون القتال، وهم
يعيشون فيها كجماعة مسالمة. وحتى اليوم لا يزال اليمنيون يحتفظون بصورة مثيرة عن نفور
البدو من دخول هذا النوع من المدن، فهم لا يفضلون العيش فيها لأنها (مدن ضعفاء الناس). وقد
أطلق اليمنيون في وقت ما على بعض المدن اسم (هجرة) وكأنها إشارة إلى أن سكانها من
الغرباء. ويكفي أن ننع النظر في وصف الأزرقى، الإخباري الشهير لبيت العبادة اليمني
(القليس) في نجران من أجل القيام بمقاربة مع أسلوب بناء أورشليم؛ وهو وصف شيق ونادر
لمكان عبادة ديني يخص اليمنيين. إن أسلوب البناء يُذكرنا بالأسلوب الذي اتبعه نحما في بناء
الأسوار. وإذا ما عدنا إلى خولان شرق صنعاء، متتبعين خُطى نحما على الطريق ذاتها من
الوادي، ومتجهين إلى وادي تنين؛ فسوف نكون مرة أخرى أمام المواضع ذاتها (صفة: 215-
217):

الأودية أولها من شمالها: منازل آل الروية وبعد ذلك قرى كثيرة مثل: البركة
(...) ويلاقيها سيل مغارب صنعاء من مخلاف مأذن والبوارق(..) وما يصب
منها إلى مأرب، فهو ملاقي لمياه عنس وذمار وردمان وتنين(..) وبلد همدان
فإنه أخذ لما بين الغائط وتَهامة ونجد السراة في شمالي صنعاء (.) ومن شرقي
الرحبة ويسكن هذه المواضع بلحارث ومن همدان ووادي مطره (..)

وبمطرة أودية عظام فيها الزروع والأعاب(..) وإتوة لذبيان بن عليان(..) إلى
مساقط الجوف(....) وساكن هذه المواضع ضاحية وضياف بن عليان،- فوادي-
عيان.

هذه هي البركة-البركة وهذه هي تنين-تنين التي سار إليها نحيميا. وها هنا وادي مطره-مطرة و وادي عليان- عليون والرحبة-الرحبة. وإذا ما مضينا في هذا الفضاء الجغرافي الرحب قصد التعرف على أثر مُحتمل للجماعات والمواضع الواردة في نص نحيميا، فسوف نكون، مرة أخرى، أمام الأسماء ذاتها. هاكم وصف الهمداني لحدود حاشد (صفة: 220 - 223): فأول حدود حاشد وما وراءها إلى صنعاء، البون والرحبة وقاع وجرفة حاشدية-بوسانية وسنام الظاهر بلد وادعة بن عمرو بن مالك بن جشم (..) فما بين ذلك العُيب فبهمان (..) وتسمى عذر هذه عذر مطرة (..) وباري للفائش من الجبر وعيان. وها هنا أقام بنو جشم العرب الذين قادوا المعارضة القوية لبناء المدينة، بسبب ذعرهم من أن يؤدي ذلك إلى عودة الفرس للضغط عليهم، وربما تكرار تجربة الغزو والسبي. والى جوار مضارب هؤلاء قرى تعدّ بوسانية وحاشدية (أي تنتسب إلى بيت بوش وإلى قبيلة حاشد- وفي قصص سليمان سنرى الاسم نفسه : حاشد) . وها هنا وادي بهمان- بهمه(بإلحاق النون الكلاعية في نطق أهل اليمن والذي تصوره المترجمون بهيمة أو دابة ركبها نحيميا فلم يتمكن من اجتياز الطريق). بينما يصفه الهمداني وصفاً مُسهباً ضمن بلد حاشد، كوادٍ خصب فيه أنواع من العنب الجيد وإليه يُنسب العنب البهماني. وهذا الوادي هو بالضبط قرب الخارف كما في النص أعلاه. وفي هذا الفضاء الجغرافي نجد أودية مطرة وعيان-عين وقبائل الجبر-جبريم. ثم مخلاف الجند وهو قاع- تقوع في النص. إن التوصيف أعلاه لا يحتاج إلى الكثير من التفاصيل للاستدلال إلى أورشليم التوراتية-اليمنية ، أو إلى أسوارها التي جرى ترميمها؛ إذ يمكن للسائر على خطى نحيميا أن يتجه من خولان فحقل صَعْدَة وصولاً إلى نجران، ليشاهد جبل ووادي شعر وشعراء؛ بل وأن يشاهد الأشجار الكثيفة المحترقة هناك وقد توزعت فوق مساحات شاسعة.

على هذا النحو، تتكشف أمامنا أورشليم القديمة المحترقة شيئاً فشيئاً ؛ كما يتكشف أمامنا المعنى الحقيقي لقول نحيميا:(فلنقم ولنبن أورشليم من نُهيهِ حتى العود وحرف) فإذا ما سرنا من مخلاف مأرب متجهين إلى بلد الركب، الذي رأينا أن سيول جباله تبلغ تخوم نجران، فسوف نجد هناك جبل بني مالك و تحتم¹⁷-تحتة وهو من الجبال المسنمة. قال فيه السليك بن السلكة (صفة: هامش المحقق: 204):

بحمد الإله وامرئ هو دلني

حويت النهاب من قضيبٍ وتحتما

وقال فيه ليبيد:

¹⁷ : لاحظ كيف دخلت الميم كأداة تعريف على الاسم (تحت، أو تحتة) فأصبح : تحتم

وهل يشتاقُ مثلك من ديارٍ

دوارسٍ بين تحتم فالخلالِ

وهذا ما سنرى مغزاه في قائمة أسماء القبائل العربية اليهودية التي شاركت في بناء اورشليم.

القبائل والجماعات المشاركة في بناء أسوار اورشليم

تولى كاهن ها-جدول- الجدول ويُدعى عل-شب-الشبا بنفسه، ومعه طائفة من اليهود، ببناء سور اورشليم من جهة جبل صنن-ضأن (غنم). وصنن- ضأن هذه تُرجمت إلى الغنم، بحيث أصبحت الجملة على النحو التالي: (وبنوا باب الغنم). ومع أن فلسطين لا نعرف باب الغنم هذا، وليس ثمة موضع في طول القدس وعرضها يُدعى غنم؛ فإن الهوس بلغ ذروته مع الحفريات الأثرية تحت مسجد قبة الصخرة في القدس، بحثاً عن بقايا أسوار وأبواب اورشليم، وخصوصاً باب الغنم المزعوم هذا. ولذلك سعى التوراتيون إلى المُطابقة بين اسم جبل أبو غنيم البعيد عن مسجد قبة الصخرة، وبين غنم التوراتية هذه. في الواقع لا يوجد موضع أو باب قديم لأورشليم يُدعى باب الغنم؛ بل هناك جبل مقدس وشهير في السراة اليمينية هو جبل غنم بالفعل، وليس أبي غنيم. وهذا الجبل لا يزال يحمل الاسم المعرب غنم-من كلمة صنن العبرية-في المكان نفسه. ويبدو أن كلمة ضأن أغرت المخيال الأوربي على الافتراض، أن المقصود منه جبل غنم. ولكن علماء الآثار لم يعثروا على جبل بهذا الاسم، بينما نجده في السراة الجبلية اليمينية وباسمه المعرب: غنم. ثم شرع الكاهن شبا (كاهن الجدول) بإصلاح وبناء أول أسوار اورشليم من موقعه في الجدول نفسها حتى وادي (ها- مأه) الماء. والغريب أن المترجمين رسموا الاسم في صورة المئه- المائه (متخيلين الاسم رقماً) بينما الضبط الصحيح له هو: المأه (بمعنى الماء والهاء الأخيرة حرف صوتي مثل يهريق الماء في يريق الماء) وفي التثنية المأوان. وهي مياه على مقربة من جبل غنم ويا للمصادفة. ثم ما أن شرع الكاهن في إطلاق إشارات البناء الأولى، حتى سارعت إلى المشاركة قبائل عدّة تسجل التوراة أسماءها بدقة متناهية وهي :

قبيلة بنو عمري وعلى رأسهم زكريا زعيمهم وكاهنهم. وهؤلاء ساهموا في بناء جزء من السور في مجدل-وها-ماه. ثم قبيلة بنو شناه- شنوءة¹⁸ التي تولت ترميم الجزء الممتد من جبل شعر-ها-دجيم (الدجوج). وفي هذا الإطار كافأ المترجمون الاسم (دجيم) ب(باب الحوت) مفترضين أن الأمر يتعلق بالكلمة العبرية دج بمعنى حوت، سمك¹⁹ بينما المقصود موضع الدج طبقاً للرسم العبري، كما أن اسم هذه الجماعة في الضبط العربي الصحيح هو شنوءة وليس شناه، وهؤلاء يعرفون في التاريخ اليمني والعربي القديم بأنهم أزد شنوءة- أسد شنوءة. وبينما كانت أعمال الترميم مستمرة، دخلت جماعات أخرى منهم بنو الفرص (الفرض- الفارض) ومسلم بن بركيه- السلم بن برخيا ومعهم أفراد من التقوعيين- من مكان يدعى تقوع- قوع (والتاء حرف لاصق مثل تعرم في عرم) وبنو بعتهبعته (قارن مع اسم البعيث الشاعر) ليتخذ ترميم الأسوار عندئذٍ مساراً جديداً في موضع يسميه النص التوراتي(صورم) في وادي عبت-عبيدة.

سنتوقف هنا قليلاً لإثارة مسألة تبدو شائكة في النص العبري؛ إذ وقف المترجمون حائرين أمام بعض الكلمات في النص الخاص بتوصيف أعمال الترميم، ولذا قدموا ترجمة محيرة أكثر غموضاً من النص. يقول نحيا: 2: 11 : 3 : 8 ما يلي :

ועלה ידם-ה-חזיקו-תקועים-ומדבריהם-לא-הבינו-צורם-בעבדת-אדניהם

وعله-يدم-ها-حزيقو-ها-تقوعيم-وعديريهم-لء-ها-بيئو-صورم-ب-عبدت-عدنيهم

وهنا الترجمة كما قدمها النص العربي من نحيا: 2: 20 : 3 : 16

(وبجانبيهم رمم التقوعيون، إلا أن أشرفهم لم يحنوا أعناقهم لخدمة أسيادهم)

لا تبدو هذه الجملة مفهومة؛ وهي مُصاغة بلغة عربية فقيرة الدلالات. في الحقيقة لم يكن هناك أسياد وعبيد في عمليات البناء، خصوصاً وأنا نتحدث عن مدينة مقدسة تنهض الجماعة الدينية، بعد خلافات مريرة في ما بينها، بعبء إصلاح أسوارها المهتمة. لا يتطلب الأمر قط أن تُحنى الأعناق ولا أن يُخدم الأسياد. كل ما في الأمر أن رجالاً من تقوع- قوع، شاركوا في أعمال الترميم من موضع يدعى صورم-صرم في وادي عبت-عبيدة. والجملة لهذا السبب تقول ببساطة ما يلي : وعلى أيديهم تمّ البناء. وحوط التقوعيون الأساسات حتى صرم- صورم في- وادي-عبيدة

إن كلمة عدنيهم لا تعني السادة-من أدون العبرية- بل تعني أيضاً: الأساس والقاعدة. وعلى العموم لا تشير كلمة عبت إلى خدمة أو عمل، وإنما إلى اسم وادٍ شهير هو وادي عبيدة-عبدت، الذي تصب فيه مياه سلوه قرب مأرب إلى جوار وادي نُهية-نهييه. ومثلما ورد في وصف

¹⁸ : هل يمكن لعاقل أن يهمل هذا الاسم : أزد شنوءة؟ هؤلاء قبيلة شهيرة من قبائل اليمن وهم بنو الأسد الذين ورد اسمهم في النقوش والسجلات التاريخية في صورة ملك لأسد: ملك الأزد-أزد شنوءة

¹⁹ : سبق لهؤلاء المترجمين أن ترجموا الكلمة نفسها (دجيم) وفي مكان آخر وسياق مختلف ولوظيفة مختلفة في صورة (باب السمك) والآن أصبح لدينا مكان ملفق جديد يدعى باب الحوت.

الهمداني (صفة: 153) فإن الحرجة تؤدي الى وادي تُهية في طرف صيهد (وحزمة البشريين هي التي تسمى سلوه في وادي عبيدة وفيها آثار عظام: محقق صفة جزيرة العرب). وعندما امتدت أعمال الترميم إلى وادي مَور (مور بالضبط في سفر التكوين) عند مسيل صرايم- صورم، دخلت جماعات قبلية أخرى ساهمت في تحسين المداخل. وهؤلاء كانوا على التوالي: من بني فاسح الذين تلقوا مساعدة من ملطيه من بني جبعون، ومن أهل الصفاة-ها-مصفه، ومن بني حارقهم²⁰. والاسم الأخير(حارقهم) مثير للحيرة بالنسبة للمتترجمين. ولذا قدموا مكافئاً غريباً هو: الصّاعة. وهكذا أصبح لدينا، فضلاً عن الأماكن الملفقة مثل بيت السمك وبيت الحوت وبيت الزبل، وجماعات لا وجود لها مثل البوابين (شعرائيم) ها هنا جماعة أخرى جرى تلفيقها ولا وجود لها في التاريخ:(الصّاعة)، بينما الضبط الصحيح للاسم هو الحارق، والهاء في الاسم مشابهة للهاء في بعض الأسماء، مثل: شمر يهرعش- يرعش (أحد أهم ملوك نجران) . أما الميم فهي أداة التعريف (أو الجمع الحميرية-اليمنية). والى جانب هؤلاء شارك رجال من بني حور، ومن بني خرومف-²¹مخارف.كما ساعدهم بنو حشوب الذين رمموا الأسوار حتى وادي تنوريم-نوريم . والى جوار هؤلاء أيضاً، كانت هناك جماعة قبلية أخرى يسميها النص التوراتي بنو لوحش²²- الوحش.أما مداخل الوادي فتولتها قبيلة زنوح حيث امتدت الأعمال، عندئذٍ باتجاه منطقة الجوف اليمني عند جبل أنف-ألف، بمعونة من بني ركاب الذين يقيمون في منطقة الكرم.أما وادي عيان فقد بنت الأسوار فيه قبائل من الصفاة-ها-مصفه، وهي التي رممت السور عند مياه سلوه، وفي وادي جن-جنة وجبل ها-ملك (جبل المالك).

في إطار هذا العرض الموجز، يتضح أن فلسطين لا تعرف أي اسم من أسماء القبائل الواردة في الخبر التاريخي عن بناء أسوار أورشليم وإصلاح أبوابها العتيقة المحطمة في السراة اليمنية. وليس ثمة ما يدل على وجود بقايا لغوية أو جغرافية في مدينة القدس العربية، تشير إلى مواطن هذه الجماعات والقبائل.ومع ذلك لا تزال القراءة الاستشراقية السائدة للتوراة تفرض رؤيتها على التاريخ، بإصرارها على أن هذا الحدث وقع في فلسطين. ومن أجل ذلك فسوف نعطي أسماء هذه الجماعات والقبائل ومواطنها الحقيقية.هاكم قائمة بالأسماء كما وردت في النص العبري ومعها الضبط العربي.

قائمة بأسماء القبائل المشاركة في بناء أسوار أورشليم

الاسم في العبرية	الضبط العربي
1: ء مري	المر
2: شننه	شنوءة

²⁰ : الحارق، والميم أداة التعريف المنقرضة هنا. أما الهاء الوسطية فهي حرف صوتي أسقطه تطور اللغة العربية مثل : يهريق الماء : يريق الماء. ومثل بهنسو التي يستخدمها الحضرميون سكان حضرموت بمعنى: ابنه. وهي لهجة معروفة عند القبائل العربية تعرف بلهجة السين ولهجة الهاء.

²¹ : لاحظ استعمال الميم في الاسم . لقد أصبحت ميماً وسطية ولكن وظيفتها ظلت كما هي : أداة تعريف: خرومف: مخارف

²² : كما في النقوش اليمنية : ملك لأسد : ملك الأسد، مرله: أمره الله، وهبله: وهب الله، عبدله: عبد الله .

3: حشوب	حُشْب
4: حور	حور
5: حارقهم	الحارق
6: خارومف	المخاريف
7: لوحش	الوحش
8: ركاب	ركب
9: زنوح	زانح

تحليل القائمة

عندما بدأت أعمال الترميم وإعادة البناء في أسوار أورشليم، ابتداء من جبل غنم إلى الغرب من صَعْدَة، سارعت بقية القبائل إلى المشاركة. ومن بين أهم هذه القبائل تلك التي يسميها نحميا: بنو-شئنه (بنو شئنة). فمن يكون هؤلاء؟ في الواقع ليس هؤلاء سوى القبيلة اليمينية الشهيرة شنوءة، وهم من قبائل الأزد القوية. والهمداني على طريقته في الاعتزاز بنسبه اليميني، ينقل قصيدة لشاعر غير معروف (صفة: 326) يصف فيها أزد-شنوءة:

وبعدَ شنوءة الأبطال أضحتُ

بيوتهم تُرفع بالعمادِ

وأزد شنوءة من القبائل اليمينية الكبرى والقديمة التي أقامت في سرو مَذْحَج؛ ويزعم النسابون أن اسمهم جاء من الشناة، أي: البغضاء التي وقعت بينهم. وكانوا على دين اليهودية. قال الشاعر (صفة: 179):

ونحنُ قتلنا الأزد أزد شنوءة

فما شربتُ بعداً على لذةِ خمرا

وهاكم وصف جبل غنم إلى الغرب من صَعْدَة (والى الجوار منه بنو زارح وهم عند الهمداني ومحققه: بنو رازح- بتقديم وتأخير حرف الراء). وجبل غنم هذا على مقربة من صرايم وعليان- عليون والخارف. يقول الهمداني (صفة: 128-132):

فمنقل سفران، فبلد حرب- بن وادعة- وهم بنو صريم وبني عبد، وغورها
أخرف وبلد حيران، وقبر عليان ووادي أمير، فغنم ومران وعرامي (ويقع في
بلد بني عمر من رازح: المحقق) وبلد الركب فيلتي هو ونخلة جنوبي زبيد(..)
ويضمها سيل نعمان ثم تنحدر كلها في بلد الوحش.

ها هنا منازل القبائل ذاتها التي شاركت عند نحميا في أعمال البناء: بنو عبت- عبد²³ وصورم-
صرايم وبنو الوحش-الوحش. فضلاً عن جبل غنم وبلد الركب الذي جاء منه بنو ركاب-
ركب. وإلى الجوار سلسلة من الجبال والأودية التي سبق لنا تحديدها في هذا السياق سنتوقف-
مرة أخرى- أمام اسم القبيلة لوحش-الوحش التي شارك أبناؤها في أعمال البناء. هاكم وصف
الهمداني وتحديد الدقيق لحدود بلد الوحش وسكانه من قبيلة الوحش (صفة: 199-200):

وادي النهي(..) والوحش من بلد حاشد ما بين نعمان وبلد الكلاع (..)
ومخلاف العود .

يعني هذا إن القبائل اليمينية في السراة هي التي قامت بترميم وإعادة بناء الأسوار، في مكان تعرفه
جيداً ويخصها في الصميم. وها هي السراة تحتفظ بأسماء هذه الجماعات، ببلداتها وقراها وأوديتها
تماماً كما في وصف نحميا ومن دون أدنى تلاعب لغوي من جانبنا. أما المخاريف-خارومف-
ولاحظ دخول الميم المنقرضة على الاسم- فإنهم يقيمون في المكان نفسه (صفة 132-136) .
هذا هو الفضاء الجغرافي المتكامل الذي جمع القبائل والوديان والجبال في وحدة نادرة، يستحيل
العثور على ما يماثلها في جغرافية فلسطين.. وهذه التفاصيل توضح العلاقة بين وجود أسماء
القبائل المشاركة في البناء، وبين المواطن والمواقع التي أقامت فيها وشملها الترميم؛ فسكان بلد
لوحش- الوحش، مثلاً، والذين يُقيمون على مقربة من بيت بوس، شاركوا الجماعات الأخرى
في المخاريف وفي وادي عيان-عين وصورم-صرايم، وبلد بني عبد- عبت سكان الوادي. لقد
هرعت القبائل من معظم مخاليف السراة اليمينية؛ من عدن والكلاع وأبين وصنعاء وسواها،
لتشارك في بناء أسوار أورشليم اليمينية التي دمرها الآشوريون.

²³:: زيادة التاء لهجة يمنية : قريش : قريشت، فلس : فلس

الفصل الرابع

صورة الفلسطينيين في التوراة

-1-

لأجل فهمٍ أعمقٍ لمضمونِ الصور النمطية التي أنتجها المخيال الغربي (الاستشراقي) عن الفلسطينيين في التوراة، سأقوم ابتداءً، بعرض بعض المقاطع من سفر صموئيل الأول (4:12:5:4- النص العربي) و (11 : 6 : 9 : 5 - النص العبري) حيث ترد الرواية التالية التي نجد ما يؤيدها في الإخباريات العربية الكلاسيكية (الطبري، اليعقوبي، المسعودي):

النص العبري

והפלשתים-לקחו-את-ארון-האלהים-ויבאו-ומ-אבן-העیزר-אשדודה-ויקחו-
פלשתים-את-ארון-ה-אלהים-ויבאו-ואתו-בית-דגון

وها- فلشتيم-لقحو- ءت- ء رون- ها- ءلهيم-
ويبء و-م-ء بن-ها- عزر-ء شدوده- ويقحو-
فلشتيم-ء ت-ء رون- ها-ء لهيم- ويبء و-ء تو-بيت -دجون-

وهذا النص يقول ما يلي:

والفلسطينيون أخذوا تابوت الرب ومضوا به من (أوبن
العزيزار) إلى (شدد). ثم أخذ الفلسطينيون تابوت الرب
وأدخلوه إلى (بيت دجون).

يُفهم من هذه الرواية التي سوف تتكرر، أن بني إسرائيل اصطدموا بجماعة تُدعى "الفلسطينيين" نسبة إلى مكان بعينه يدعى فلس (والتاء الأخيرة لاصقة وردت في نقوش العرب مثل قريش- قرشت، فرس- فرست)، وأن هؤلاء خاضوا أولى معاركهم وتمكنوا من الاستيلاء على تابوت العهد في موضع آخر بعينه يُدعى أوبن العزيزار. وفي الترجمة العربية (أبان) والصحيح أنه (أوبن) كما هو واضح من التهجئة بالعبرية. وفي الواقع لا وجود (لفلس أو أوبن أو أبان) إلى جوار بعضها البعض في فلسطين التاريخية، مهما فتشنا هناك؛ بينما نعلم من الهمداني في "صفة جزيرة العرب" والشعر الجاهلي كذلك، أن (جبل أبان) من أشهر جبال العرب وأقدمها، وهو يقع بالفعل على مقربة مباشرة من أشهر بيوت العبادة الوثنية عند القبائل العربية، نعني "بيت الفلس"، وكان موضعاً جبلياً يتبع قبيلة طي اليمينية غير بعيد عن (سُلَمي) و (لُبنان). كما نعلم من الشعر الجاهلي أن جبل (أبان) كان مسرحاً لمعارك القبائل. ويُحدد بيت للبحترّي جبل أبان هذا تحديداً دقيقاً للغاية، قال:

ولمّا غربت (أعراف سلمى)

لهنّ وشرقت قنن القنان

وخلفنا أياسرَ وارداتٍ

جنوحاً والأيامن من (أبان)

من الواضح أن سلمى- الجبل- لا تبعد كثيراً عن جبل أبان، إذ يمكن للسائر انطلاقاً منها، أن يصل إلى الشمال من موضع واردات، قبل أن يتجه إلى الجنوب حيث جبل أبان.

إن مثل هذا الفضاء الجغرافي لا وجود له في فلسطين، فليس ثمة سلمى يمكن بلوغها إذا ما سرنا في الشمال الفلسطيني من موضع واردات، ثم ننعطف إلى الجنوب باتجاه أبان. إن هذا التحديد يتلاءم مع الإطار التاريخي للمعارك التي دارت بين القبائل العربية في طفولتها البعيدة (والتي تسمى أيام العرب) وهي وقعاتهم وحروبهم وغزواتهم، ففي هذا المكان تتزاحم القبائل بالمناكب بسبب سلسلة من التوترات والتفجرات الدينية والاجتماعية. فضلاً عن ذلك، ترك لنا أبو تمام أبياتاً رائعة من الشعر عن هذه الحروب الشرسة التي دارت. والأبيات التالية هي محض استطراد في ذكريات العرب التي ظلت تلازمهم عن المعارك في سفوح أبان:

وأخافكم كي تُغمدوا أسيافكم

إن الدمّ المُعترّ يحرسه الدمّ

ولقد جهدتم أن تُزيلوا عزه

فإذا (أبان) قد رسا ويلملم

ترسمُ هذه المقطعات الشعرية الجاهلية- الإسلامية، صورة مماثلة للصورة التوراتية عن معارك طاحنة بين القبائل، لا وجود لما يُماثلها في فلسطين القديمة. وكنا أشرنا إلى المكان الذي بُني فيه معبد " الإله فلس " معبود العرب القديم، وهو إلى جوار (لبنان) و (سلمى). وكما رأينا، فإن (سلمى) هي من جبال قبيلة طيء اليمنية. ولذا؛ فإنّ المعارك الدائرة عند سفوح (أبان) بين بني إسرائيل والفلسطينيين (ها- فلستيم) لم تنتش في فلسطين؛ بل في هذا الفضاء الجغرافي الذي تعيش فيه القبائل العربية. وبالتالي؛ فإنّ الفلسطينيين لم يكونوا طرفاً فيها، والزّج باسمهم في " قلب تاريخ زائف " من تليف مخيّلة أوروبية، لا غرض له سوى إخراجهم من التاريخ الحقيقي بعد زحزحتهم من الجغرافيا، وذلك عبر تصويرهم كأحفاد لمهزومين أمام بني إسرائيل، ليس في العام 1948 للميلاد وإنما في العام 948 ق. م. هذا " الطرد من التاريخ الحقيقي " لجماعة بشرية معاصرة، و" حجزها داخل تاريخ ملفق " وتلطّيح سمعتها، يندرج في سياق تجريد السكان الأصليين الذين سلبت أرضهم مع بزوغ العصر الاستعماري، من كل ما يملكون من مقومات حياتية وعناصر ثقافية، وتصويرهم كأحفادٍ لأشرار قدامى اغتصبوا تابوت العهد ذات يوم بعيد، فاستحقوا الهزيمة بسبب ذلك.

وفي هذا الإطار فهو يندرج في قلب إستراتيجيات القراءة الاستعمارية للتوراة. فهل تعرف فلسطين جبلاً يُدعى (أبان) كما في النصوص التوراتية المتفرقة؟

يعدّ جبل (أبان) من أشهر جبال العرب، ولا نظير لاسمه المُتفرد في أيّ بقعة أو مكان خارج جغرافية بلاد العرب، وقد عرفته القبائل ضمن ما يُعرف (ببلاد طي) القبيلة اليمنية. ومن غير أدنى شك؛ فإنّ وجود الفلسطينيين قرب جبل أبان في فلسطين، كما توحى بذلك القراءة المخيالية الغربية، لا أساس له وهو من تلفيق اليهود الأوربيين الذين قاموا بتصعيد هذه الصورة النمطية إلى مصاف حقائق التاريخ. والمثير للاهتمام أن أحداً لم يتساءل عن السبب الذي يدعو محرر النص العبري إلى كتابة الاسم على هذا النحو (فلستيم) – بالتاء وليس بحرف الطاء- إذا ما كان يقصد الفلسطينيين، لأن العبرية تعرف حرف الطاء ولا موجب للاستعاضة عنه بحرف التاء؟ أي أن محرر النصّ العبري كان يتوجب عليه كتابة الاسم في صورة (ها- فلسطين) إذا ما كان يقصد الفلسطينيين. كما أن أحداً لم يسأل عن السبب وراء تجاهل الجغرافيين اليونانيين الكلاسيكيين -الذين سجلوا بدقة مذهلة أسماء الجماعات والشعوب والمواضع في الجزيرة العربية واليمن - لوجود شعب باسم الفلسطينيين قرب أبان، إذا ما وجد مثل هذا الشعب هناك؟ في الواقع لم يعرف العرب ورّحالة اليونان وشعراء الجاهلية، جماعة فلسطينية قرب جبل أبان هذا؛ ولكن بالمقابل، سجّل العرب في أشعارهم ومروياتهم اسم شعب عربي وثني قديم عاش بالفعل في المكان نفسه، وعُرف نسبة إلى بيت العبادة الوثنية (فلس). وفي الكتابة اليمنية القديمة يمكن أن يكتب الاسم على هذا النحو: (فلست) مثل (قرشت في قريش) والجمع في العبرية (فلستيم). وهذا الرسم يتطابق مع رسم الاسم في التوراة، بما يعني أنها قصدت الجماعة نفسها وليس (الفلسطينيين). يفسر لنا ذلك السبب الحقيقي لرسم الاسم في العبرية بحرف التاء وليس الطاء. لقد تمّت مطابقة ماكرة، ومماثلةً مُحترفة بين الاسمين(فلستم) و(الفلسطينيين) في مكان لا يعرف إلا بيت عبادة وثنياً يُدعى فّلس. والمثير في نطاق هذه المسألة، أن سكان الموضع اشتهروا في المرويات العربية بأنهم من (آكلي السحت) أي الحرام، وكانوا يصطدمون مع الجماعات الموحدة والمُتدنية في الجاهلية البعيدة على خلفية قيامهم بسرقة المواشي وضمّها إلى بيت الفلس، كما أنهم تصرفوا كقطاع طُرق في سياق محاولاتهم تأمين النذور والذبائح للمعبد. ترى، لماذا تطلق التوراة على (فلستيم) الصفة العبرية (ها- مشحت) التي نرى أنها تعني الكلمة العربية ذاتها (السحت) بمعاملة الميم كأداة تعريف منقرضة في لهجات اليمن القديم؟ ومن غير شك؛ فإن هذا اللقب " التحقيري" الذي تطلقه التوراة بحق جماعة وثنية، أمر ينسجم مع تاريخ الحروب والمعارك بين الموحدين والوثنيين. إن هذه المُطابقة المُخادعة والتي لا أصل لها في التاريخ،

تندرج في سياق السيطرة على السرد التاريخي لأحداث الماضي واستغلالها في الصراع الراهن على الأرض، عبر فرض استمرارية زائفة ومُختلقة لما أُعتبر أحداثاً تاريخية؛ وبحيث تبدو إسرائيل الراهنة استكمالاً معنوياً ما فوق رمزياً، مُتخيلاً بكل قوة وزخم التخيل الأدبي لمملكة إسرائيل ولبنى إسرائيل. بينما يبدو الفلسطينيون في الطرف المُقابل، استطراداً رمزياً مُقلصاً ومضغوطاً إلى أبعد حدّ في صورة جماعة مغلوبة، مهزومة، جرى دحرها في سفح جبل أبان قبل آلاف السنين. إنهم الفلستيم الذين أمكن انتزاع تابوت الله من بين أيديهم وإزاحتهم عن الأرض الموعودة.

إليك وصف الهمداني وشهادته الحاسمة عن جبل أبان (صفة: 235- 236) في معرض وصفه للطريق من جُرش إلى صَعْدَة (وليس جرش الأردن كما نزع الرواية الاستشراقية):

وصف الهمداني لجبل ابان

تخرج من جُرش قصد صَعْدَة على بلد جنب (..) ديار
ربيعة : الذنائب وواردات وذو حُسم (..) وأبان.

ها هنا ، بالضبط يقع جبل أبان التوراتي – اليميني على الطريق من سراة جنب. أمّا ابن منظور فيكتب في وصف أبان ما يلي (لسان: 9: 166-167):

وصف ابن منظور (لسان العرب)

أبان: أبانان جبلان في البادية أحدهما أسود
والآخر أبيض وبينهما نهر يُقال له الرُمة على
مبعدة ثلاثة أميال.

يشير ابن منظور في هذا الوصف إلى وادي الرُمة الشهير، ويستخدم كلمة (نهر) في وصف مياه الوادي على جري عادة العرب، تماماً كما في التوراة. يقع (جبل أبان) في بطن وادي الرُمة، وهو من أعظم الأودية وأكبرها وفيه قالت العرب: (الرمة: طويل عريض) والطريق منها يفضي إلى صعدة ثم ذمار. وذمار هذه، هي التي عُرفت قديماً عند اليمينيين باسم الأب الأعلى

لبعض قبائل اليمن (شدد) بن زرعة بن حمير الأصغر. وبذلك يتضح أن المقصود من رواية سفر صموئيل هو التالي: قامت جماعة وثنية تدعى ها- فلشتميم بنقل تابوت الرب من (جبل أبان) حيث دارت المعارك مع بني إسرائيل إلى (شدد أو سدد) تماماً كما في النص العبري، وليس إلى أشدود الفلسطينية الساحلية. لقد ترك لنا العرب القدماء سلسلة من الروايات عن معارك طاحنة بين بني إسرائيل وقبائل معدّ، وهي روايات موثقة يصعب التشكيك في صحتها. الأمر الذي يؤكد أن مروية صموئيل هي في سياق مرويات العرب القدماء ولا تشذ عنها. إن الفضاء الجغرافي الذي يجمع كلاً من (جبل أبان و شدد) ليس الفضاء الفلسطيني؛ بل الفضاء الجغرافي لليمن القديم، حيث (سلمى ولبنان ولبنى وشحر) وسائر المنازل الواردة في نصوص يشوع و صموئيل.

قال لبيد واصفاً جبل أبان في بطن وادي الرُّمّة (أنظر ياقوت: 1:82- وكذلك البكري):

دَرَسَ المنا بمتالعٍ و(أبان)

فتقادت بالحيس فالسّوبان

وقال امرؤ القيس (المُعلِّقة والديوان- وانظر شرح المُعلِّقات السبع للأنباري):

كأنّ أباناً في أفانين وبِلْهُ

كبيرٌ أناسٍ في بجادٍ مُزْمَلٍ

هذا التوصيف المُهذَّب والمُدْهَش للجبل والذي قلّمَا يجد المرء ما يُماتله، يشير إلى شموخ الجبل وجماله في لحظة هطول المطر والثلوج في أعلى قمته، حيث يبدو للناظر مثل شيخ مَهيب مُزْمَلٍ بكساء بدوي مخطط من أكسية الأعراب. ولنلاحظ هنا استخدام الشاعر للكلمة العبرية- العربية القديمة (بجاد) والتي ترد في التوراة كتوصيف لثياب يوسف (تعني بجد العبرية: ثوب أو رداء مخطط. وحتى اليوم يمكننا ملاحظة أن طقوس الصلاة اليهودية تستلزم وضع الرداء المخطط). وبالطبع لا تعرف فلسطين التاريخية جبلا بمثل هذه المهابة وبمثل هذا الاسم. فهل هناك ما يدعو إلى الافتراض أن (جبل أبان) التوراتي قرب (سلمى) هو جبل آخر غير المقصود في أشعار العرب؟ سنقوم بمقاربة أخرى، بين وصف صموئيل للمكان ووصف الإخباريين العرب والشعر الجاهلي، وذلك من أجل إعادة بناء المرويات التوراتية؛ وبالتالي إعادة بناء الرواية التاريخية عن معارك بني إسرائيل ضد مَنْ يُزعم أنهم من الفلسطينيين). كما تشير قصص سفر صموئيل إلى إن النبي خرج من بيته في (هارمه:الرما) ثم توجه نحو جبل (عبن - ها- عيزر). ونحن بكل تأكيد لا نعرف (الرما أو الرّمه) هذه قرب (أبان) في فلسطين؟ ولكننا نعرف من وصف الهمداني أن السائر في أرض اليمن من جبل الرما 0 ها- رمه) يصل وادي اوبن (عبن في العبرية). كما نعلم من رواية الأصمعي التي نقلها ياقوت (1:83) أن السائر في بطن وادي الرّمّة يصل إلى جبل أبان، إذا ما اتجه صوب صعدة اليمنية. قال ياقوت:

وصف ياقوت الحموي نقلًا عن الأصمعي

قال الأصمعي: وادي الرّمّة يمرّ بين أبانين، وهما جبلان، يُقال لأحدهما (أبان الأبيض) -وللآخر- (أبان الأسود) جبل لبني فزارة خاصة، وبينه وبين الأبيض ميلان
--

أمّا جبل وادي اوبن (وهذا اسم آخر برسم مختلف:ء بن في العبرية) فهو يقع في الجوف اليمني وتسيل مياه واديه إلى نجران على مقربة من جبل (أبان) الشامخ. ولذا؛ فإن إشارة رواية سفر صموئيل إلى جبل (أوبن - ء بن) تحتل فكرة أن المقصود منه (أوبن) في الجوف اليمني، حيث يمكن للسائر فيه أن يبلغ - بسهولة - جبل الرما، كما تحتل فكرة موازية، أنه يقصد (جبل أبان) وكلاهما في فضاء جغرافي واحد. وبذلك يمكن لنا أن نضع في هذا المكان، وليس في أي مكان آخر، كل المعارك التي دارت بين بني إسرائيل و(الفلسطينيين عبّاد إله الفلّس وليس الفلسطينيين) حول تابوت العهد. فكيف نظرت القراءة التوراتية الراهنة (الاستشراقية) إلى

الفلسطينيين؟ إن فهماً أعمق للصور النمطية في المخيال اليهودي عن الفلسطينيين المعاصرين، يجب أن يُلاحظ ما يلي: بما أن إسرائيل الراهنة، هي امتداد تاريخي لما يُزعم أنها (مملكة إسرائيل القديمة في فلسطين) فقد تمّ غرس جذور " اصطناعية " للصراع التاريخي، راحت تضرب عميقاً في تربة الأحداث التي عاشها شاول وداود والنبّي صموئيل، وهو صراع مُستمر لا بسبب مشكلة الاحتلال الراهن وحسب؛ وإنما كذلك بسبب وجود عدو قديم يواصل حربه ضد "ولادة إسرائيل الإلهية " المُقدّسة. إن سفر صموئيل في نطاق هذه الفكرة، نموذجي بالنسبة للمخيال اليهودي الغربي؛ فهو يرسم صورة هذا العدو كما بزغت في عصر شاول، أول ملوك إسرائيل القديمة. ولكن: هل وقعت هذه الأحداث في فلسطين؟ وهل كان العدو هو الفلسطيني نفسه؟ إن تفكيك الجغرافيا الخيالية التي رسمتها القراءة الاستعمارية للتوراة، والكشف عن حقيقة المواضيع المذكورة في الأسفار، من شأنه أن يمهّد السبيل أمام إعادة بناء الرواية التاريخية. بكلام آخر: يتوجب تفكيك بُنى السيطرة على السرد وتمكين الضحايا من رواية الأحداث بصوتهم لا بصوت جلادهم. لقد رأينا -مما سبق- أن المكان الذي دارت فيه المعارك بين بني إسرائيل (وها- فلثتيم) هو جبل أبان، ولذلك لا مناص من رؤيته خارج جغرافية فلسطين. بهذا المعنى تصبح مهمة البحث عن المواضيع وتحديدها بصورة دقيقة من دون أدنى تلاعب لغوي، عملاً حاسماً في نطاق تقديم رواية جديدة لا تستند إلى الافتراضات. لقد نقل لنا رواة الأخبار القدماء، كما سجّلت أشعار العرب، اسم الإله العربي (الفّلس) معبود قبيلة طي البدوية. ومن جملة هذه الأخبار نعلم أن بيت العبادة هذا، كان وسط جبل أجأ وقرب سُلمى تماماً؛ وهذا أمرٌ مدهش للغاية لأنه سوف يُساعد في فهم مقاصد النصوص التوراتية من تسجيل اسم الجماعة التي دخل بنو إسرائيل في حروب معها أي الفلست. يقول ابن الكلبي (الأَصْنَام: 59) ما يلي:

وصف ابن الكلبي للفلست (كتاب الأصنام- ص: 59)

كان لطيء صنمٌ يُقال له الفّلس وكان أنفاً أحمر في وسط جبلهم أجأ. أسودُّ كأنه تمثال إنسان وكانوا يعبدونه ويهدون إليه ويَعْتَرُونَ عنده عتائرهم. ولا يأتيه خائف إلاّ أمنّ عنده ولا يَطْرُد أحد طريدة فيلجأ بها إليه إلاّ تُركت.

إن ملاحظات ابن الكلبي الثمينة والنموذجية إلى أبعد حدّ، ومعرفته المباشرة بالمكان والمعبود والسكان، تزودُ متلقيها بأفكار ضرورية لفهم أفضل وأكثر جذرية عن طبيعة هذه الديانة العتيقة من ديانات العرب، والأهم من ذلك، من أجل فهم أفضل لطبيعة ونمط معتقدات سكان المكان. ولنلاحظ عبارته الدقيقة القائلة: (ولا يأتيه خائفٌ إلاّ أمينٌ عنده) فهذه إشارة صريحة تماماً إلى شمولية نظام التحريم ورسوخ ثقافة منح الحماية والملجأ لكل مُطارِد. بهذا المعنى؛ فإنّ الفلاس كان هو الآخر (ها- عيُزر) أي: المكان المانع، المُحير، مثله مثل جبل أبان وسُلَمي. ومن غير شك؛ فإنّ وجود الفلاس وسط جبل أجأ يعني أن هذا الجبل عُرفَ باسم المعبود، أي جبل الفلاس. ونحن نعلم من التاريخ وعلم الأنساب عند العرب أن القبائل تتسمّى بأسماء آلهتها وآبائها. ولذا، يبدو وجود جماعة قبلية قديمة تدعى الفلاس نسبة إلى معبودها وجبلها قرب جبل أبان، تأكيداً لوجود تاريخي حقيقي وليس مجرد افتراض. وفي هذه الحالة سيكون اسم الجمع بالعبرية هو: فلشْتيم (هر - فلشْتيم: جبل الفلستيين). إنّ أحداً لا يعرف اسم جماعة قديمة في فلسطين كانت تعبد إلهاً يُدعى فلاس، وكانت تعيش قرب جبل أبان؟ بينما نستطيع رؤية المكان والجماعة القبلية بسهولة ودون ما حاجة للتلاعب بالكلمات أو أبنية الأسماء، وذلك حين نفتش جغرافية اليمن القديم والشعر الجاهلي. ونحن نعلم من تاريخ الإسلام المبكر، أن انتصار الإسلام ارتبط على نحو ما، بدحر سكان الفلاس- وهم خليط من قبائل العرب- وتدمير بيت عبادته بعد حملة عسكرية ناجحة، قادها خالد بن الوليد في السنة التاسعة للهجرة. بهذا المعنى، يتوجب النظر إلى صراع بني إسرائيل ضد قبائل الفلاس على أنّه صراع ديني، نشب في وقت مبكر من ظهور الديانة التوحيدية في بني إسرائيل. لقد كانت قبائل الفلاس تمثل مشكلة مُستعصية بالنسبة لسائر القبائل العربية، وليس لبني إسرائيل وحدهم، إذ اتسم سلوكها بعدوانية فاضحة على أملاك الآخرين، بلغت في أحيان كثيرة حدّ الاستيلاء بالقوة على حيوانات القبائل التي ترعى قرب المكان، وضمّتها إلى ممتلكات بيت الفلاس. وعندما هدم خالد بن الوليد بيت الفلاس هذا، وجد أنواعاً من السيوف اليمنية الفاخرة في خزائن مليئة بالهدايا الأخرى. تفسر لنا هذه الوقائع جزءاً من التاريخ المُلتبس والمُتلاعب به، أي: واقعة الاستيلاء على تابوت العهد التي سجّلها سفر صموئيل (شموعل). وهذا ما سوف نعالجه بالتفصيل عبر العودة إلى النص العبري الذي سجّل الوقائع وأسماء الأماكن والجماعات المُتحرّبة وصفاتها. يقول النصّ العبري (4:13 : 19:3 - الإصحاح 4)

المقطع في اللغة العبرية

וצא-ישראל-לק את-פלשתים - למלחמה ויחנו-עד-אבן-ה-עוזר-

ופלשתים-חנו ב-אפק

ויצע- ישראל- לק את-פלשתים- למלחמה- ويחנו-
عد-ابن-ها-عيزر- وفلشتيم-חנו-ب-عفق.
الترجمة العربية
(وخرج بنو إسرائيل ودعوا الفلّس للحرب، ثم خيموا عند
أوبن العيزار والفلّس خيموا في أفيق)

نعرف من هذا النصّ الواضح والبسيط، أن الجماعتين المتصادمتين التقتا بين جبليين، حيث أقامتا مخيّمين حربيين عند جبل أوبن (وادي اوبن) وفي (أفيق). وبكل تأكيد؛ فإنّ جغرافية فلسطين التاريخية لا تعرف مثل هذا المكان، وليس ثمة من دليل جغرافي أو لغوي على وجود (أفيق) قرب جبل أوبن في فلسطين. في الواقع يعرف شمال فلسطين التاريخية جبلاً صغيراً يُدعى أفق وليس (أفيق) وهو موضع بعيد للغاية عن المسرح الافتراضي للمعارك، فضلاً عن أن فلسطين كلها لا تعرف أوبن أو أبان. وحين اكتشفت القراءة الإستشراقية اسم هذا الجبل، فقد سارعت إلى بناء الرواية التاريخية عن حرب خيالية ضد الفلسطينيين في عصر شاول. وبالطبع في سياق البرهنة على أن مملكة إسرائيل واجهت عند ولادتها الجديدة في العصر الاستعماري، العدو نفسه القديم نفسه. لقد كانت هذه واحدة من اللحظات الفظيعة في التزوير والتلاعب، اتسمت بتجاهل مُتعمّد لكل المواضع الأخرى؛ بل وإسقاطها من الجغرافيا الموصوفة، فلا سلّمى ولا أبان ولا لبنان هناك. وإذا ما تقبلنا هذه القراءة لأغراض السجال؛ فإنّ رواية صموئيل ستبدو خيالية، مُتلعثة وعصية على الإفهام، فهي تعرض علينا أسماء لا وجود لها في فلسطين؟ إن إقصاء اسم

جبل أوبن من الرواية التاريخية التي سردها الصوت الكولنيالي نيابة عن الفلسطينيين؛ وسلسلة طويلة من أسماء الأماكن الأخرى، يمثل ذروة الخداع والتضليل. إليكم النصّ التالي من سفر

صموئيل الأول بترجمته العربية السائدة، ولنلاحظ الصورة النمطية للفلسطيني الذي ظهر في مسرح الحرب:

وكان شاول ويوناتان ابنه ومَن معهما من الشعب، مقيمين في جبع بنيامين. والفلسطينيون مُعسكرين في مكماش. فخرج المُخربون من معسكر الفلسطينيين ثلاث فرق. فاتجهت فرقة إلى عُفرة في أرض شوعل، واتجهت فرقة أخرى نحو بيت حورون واتجهت فرقة أخرى نحو عرس المُشرف على وادي صبوعين ناحية البرية (صموئيل: 13 : 8 : 23)

ما يقوله هذا النص والنص السابق هو التالي: **إن جبل (أوبن وجبل أفيق-مصنعة أفيق عند الهمداني وهي مكان غزير المياه) حيث تجمعت الجيوش المتحاربة، هما على مقربة من سلسلة من المواضع منها: جبع بن يامن (جبع بنيامين) ومكماش (مكماش) وغفرة من أرض شوعل وبيت حورون وء رس (الرس) ووادي صبوعين (ضباعين عند الهمداني).** وكل هذه المواضع لا وجود لها في فلسطين التاريخية كما يعلم اليهود الغربيون والشرقيون. فكيف جرى تخيّل رواية صموئيل وتحويل مسار أحداثها بحيث تجري في فلسطين؟ إن سائر المواضع الواردة في نص صموئيل موجودة إلى جوار بعضها البعض، وبالأسماء ذاتها تماماً دون أدنى تلاعب. وهذا واضح من سياق النصّ وتوصيفاته وبشهادة الشعر الجاهلي ووصف الإخباريين العرب ووصف الهمداني كذلك. إن جملة (واتجهت فرقة أخرى نحو ء رس- الرسه) مُصمّمة لتوصيف وتحديد موضع بعينه يُدعى (الريسه) قرب (جبل الرما). لقد أضاف المترجمون هذا الاسم إلى النص العربي والعبري عن نص يوناني. ولأن محققي التوراة فهموا كلمة (ء رس) على أنها تعني (رأس ، قمة) فقد ترجموا الكلمة في صورة (القمة) معتقدين أنّ سارد النص، أراد بالكلمة الإشارة إلى قمة الجبل، وهذا وهم فظيع. وعلى العكس من هذا الاعتقاد الذي لا أساس له سنيين، أن صموئيل كان يشير إلى موضع محددّ هو (الريسه) في مسرح المعارك الدائرة في الواقع، لا تعرف فلسطين التاريخية مثل هذا الموضع قرب وادي صبوعين (صبوعين) كما لا تعرفه على الطريق إلى (جبل ء بن - أوبن أو جبل أفيق). كل هذا يعني أن القراءة الاستشرافية للتوراة، بنزعتها الاستعمارية لتخيّل فلسطين كوطن قديم لبني إسرائيل منذ عصر شاول، إنّما وجدت نفسها أمام مأزق حقيقي لا مخرج منه: فإذا كانت المعارك جرت حقاً ضد الفلسطينيين في فلسطين، فأين يمكن لنا أن نعثر على الرما والريسه وصبوعين وأوبن وأفيق؟ ولذا كان لا بد من تخيل موضع (الريسه) كمجرد توصيف لحدود المسرح الحربي وإهمال بقية المواضع.

يستخدم النص العبري كلمة (مشحت- دون تصويت) وهي لقب تحقيري أضفي على الفلسطينيين الذين حاربوا بنو إسرائيل. لكن المترجمين اختاروا من القاموس العبري- العربي ويا للغرابة، كلمة (المخربون) كمكافئ لكلمة (مشحت) ولتصبح الجملة على النحو التالي: (واتجهت فرقة من المخربين الفلسطينيين). وهكذا، فقد أصبح لدينا " مخربين " من عصر شاول. إن هذا النعت المُشبع بالمقتّ الغريزي وبالكرهية العنصرية التي لا تصدق؛ هو في القلب من عمل هادف إلى مماثلة الصور ودمجها، بحيث تتماهى صورة المخرب الفلسطيني المعاصر مع صورة نظيره وجده الأعلى " المخرب الفلسطيني في عصر شاول ". هذا المخرب هو الذي سرق في الماضي تابوت العهد، وحارب مملكة إسرائيل القديمة.

إنه بالنسبة للمخيال اليهودي الأوربي الغربي ثم الأمريكي، مُخَرَّب بالفطرة، مزعج وخطير منذ أن تصادم شاول ملك إسرائيل الأول معه، وهو يواصل لعب هذا الدور الوحيد الذي انتدبه التاريخ للقيام به إلى ما لا نهاية. وكما أن لإسرائيل في هذه المُطابقات العشوائية والتعسفية امتداداً نزيهاً وبطولياً في الماضي البعيد والمُتخيل؛ فإنَّ للفلسطينيين كذلك، امتداداً مماثلاً، ولكن كجماعة إرهابية تخريبية عدوانية وغير نزيهة، وغير بطولية وقابلة بسبب طبيعتها التخريبية المُتأصلة في نفسها، لأن تنقسم إلى ثلاث " مجموعات تخريبية " أو أكثر تماماً كما هو الحال اليوم. إن هذه الصور الاستشراقية بامتياز، مأخوذة من الصورة النمطية في المخيال اليهودي الأوربي الغربي- الأمريكي المعاصر، ونظرته العنصرية للصراع الفلسطيني- الإسرائيلي. ولذلك؛ فإنَّ العودة إلى النص العبري سوف تكشف عن هذا البُعد الاستعماري في القراءة الغربية للتوراة، إذ لا وجود للفلسطينيين ولا وجود للمُخربين في عصر شاول، والرواية التي يسجلها صموئيل ، برمتها لا علاقة لفلسطين بها. ومن المؤكد أن التعبير التحقيري (مشحت بمعنى أكلي السحت) الذي يُطلقه صموئيل على قبائل الفلس-الفلس (ها- مشخت) يشير إلى الحقيقة التاريخية المؤكدة التالية: إن بني إسرائيل كجماعة دينية موحدة، عرفت قبائل العرب قديماً في السراة اليمنية؛ ثم مجدها القرآن الكريم وأحاطها المسلمون حتى اليوم، بنظرات التمجيد والقدسية، هي جماعة لم تعترف بالأصنام قط، وقاومت عبادتها منذ عصر الأب الأعلى إبراهيم، والدها ووالد كل العرب ومؤسس أولى الديانات التوحيدية في الجزيرة العربية وباني الكعبة. لقد كانت تنظر إلى عباد الأصنام نظرة احتقار وازدراء، ودخلت في معارك وحروب دامية ضدهم. وهذه المعارك يصفها السفر التوراتي بدقة، ونرى أنها تندرج في إطار حروب دينية الطابع ضد الجماعات الوثنية. ولأن الفلس كانوا أصحاب بيت عبادة وثنية، تهفو إليه قلوب قبائل وثنية كثيرة حتى أصبح من أكثر أماكن العبادة القديمة حضوراً في الحياة اليومية للجماعات القبلية؛ فقد عملوا على فرض سيطرتهم ونفوذهم انطلاقاً من سيطرتهم على المكان المقدس هذا. وفي سياق فرض النفوذ قام سدنة بيت (الفلس) بسنّ شرعة غريبة تبيح لهم حق الاستيلاء على حيوانات القبائل وممتلكاتها بالقوة وضّمها إلى بيت العبادة. ولذلك عرف سدنة بيت الفلس عند العرب العربية بأنهم من (أكلي السحت). كانت هذه الشرعة الدينية حسب أخبار ابن الكلبي في (الأصنام) مصدر التوتر الرئيسي بين القبائل، وبعضها لم يُخفِ مشاعر الاحتقار للسدنة (الكهنة) وكانوا ينعنونهم على الدوام بالنعت ذاته الذي يستخدمه صموئيل : (السُحت أكلي الحرام). وهذا هو المعنى الحقيقي للكلمة العبرية (ها-مشحيت) التي فهمها المخيال الغربي الاستعماري على أنها تعني (المخربون). إن أحداث السفر التوراتي تدور في جغرافيا مُحددة، وأطرافها من الجماعات التي يمكن التعرف إليها في نطاق هذه الجغرافيا. فهل يعرف التاريخ الفلسطيني القديم مثل هذه الجماعات؟

الفصل الخامس (

أورشليم الرومانية في " بلاد اليهودية القديمة "

لا يتردد كتاب التاريخ في الغرب الأوروبي (وعلى خطاهم كثير من الباحثين المسلمين و العرب) عند الحديث حول التاريخ الروماني بفلسطين في التأكيد دون أدنى دليل علمي واحد على أن أحداث رواية ما يدعى " سفر المكابيين " دارت في فلسطين التاريخية. وبصدد هذا الزعم؛ فإن لمن المثير للاهتمام حقاً ، ملاحظة أن ما جاء فيه، وبالرغم من عدم وجود اعتراف رسمي بالنص، غالباً ما تم اعتماده كوثيقة تاريخية تخص أورشليم العصر الروماني. فهل جرت، حقاً أحداث السفر في فلسطين؟ وما الدليل على ذلك؟ ومتى ظهرت أورشليم الرومانية في فلسطين؟ سوف نجادل حول هذه النقطة من أجل البرهنة على الحقيقة التالية: إن أورشليم الرومانية لم تظهر إلى الوجود إلا بعد 130 ق.م وليس قبل هذا التاريخ، وبالتالي؛ فإن الرواية التي سجلها الأخبار وكهنة من يهود اليمن، للحروب المتواصلة بين بلاد اليهودية والرومان لا علاقة لها لا من قريب ولا من بعيد بتاريخ فلسطين. ولذلك، يتوجب إسقاط هذه الحقبة من التاريخ الفلسطيني نهائياً، للأسباب التي سوف نسوقها.

هل ظهرت " بلاد اليهودية " في فلسطين خلال العصر الروماني؟

قبل تقديم جواب قاطع بنعم أو لا، دعونا نتساءل : ومَنْ هو يهوذا المكابي بطل أحداث هذه الرواية والذي كان ملكاً في بلاد اليهودية عام 166-160 ق.م ؟ ومن أين جاء " لقبه " هذا ؟ ولماذا لم تذكره كتابات اليونانيين والرومان ضمن تاريخ فلسطين؟ ومَنْ هم " الحسيديون " الذين تحدثت نصوص التوراة عن تمردهم في أورشليم على سلطة الحاكم الروماني ؟ ومَنْ هم " الحشمونيون " خصومهم الذين صورت التوراة سلسلة من معاركهم كما صورت المعارك والحملات الحربية الرومانية ضدهم في " بلاد اليهودية " المُدعى أنها شمال فلسطين (الضفة الغربية) ؟ وأين وقعت الصدامات والمعارك العنيفة ضد هؤلاء ابتداء من العام 198 ق.م ؟ إن المساهمة العلمية في تصحيح تاريخ فلسطين القديم، وتخليصه من الهرطقات والأحداث الاستشراقية الزائفة، يصبح اليوم واجباً أخلاقياً، يتوجب توسيع نطاق الاهتمام به، ذلك أن تحرير فلسطين لا يمكن أن يتحقق من دون تحرير صورتها التاريخية من الأوهام والمخترقات الأوروبية. إن التوراة تفرد لواحدة من هذه المعارك، حيناً معقولاً تسردُ فيه جانباً من الظروف والبواعث التي دفعت بالحسيديين، وهم فرقة دينية يهودية مُتشددة إلى التعاون مع خصومهم " المكابين " أتباع يهوذا المكابي من أجل مواجهة الرومان. ولأن هذه الرواية تعرضت لتخييل فظيع، وبحيث أنها عدت جزء من تاريخ فلسطين القديم، فقد توجب علينا إعادة بناء الرواية التاريخية، والتدقيق في مسرحها وأحداثها. ولذلك يتوجب القول أن الحملة الحربية الرومانية، بدأت من المنظور التاريخي الصحيح للأحداث التي ترويها التوراة- على بلاد اليهودية، وليس على فلسطين، وبالتالي؛ فإن نص السفر لا يذكر قط اسم فلسطين أو الفلسطينيين، وهذا أمر مثير للاهتمام ولا يتناسب مع كل ما قيل عن أن التوراة ذكرت فلسطين والفلسطينيين في عصر شاول وداود، فيما هي تغفل ذكرهم في عصر يهوذا المكابي؟ فهل تلاشى شعب فلسطين وغاب كلياً عن مسرح الحروب الرومانية- اليهودية، إذا ما افترضنا أن هذه الحروب وقعت في فلسطين؟ فكيف يجوز تقبل فكرة أن التوراة سجلت اسم شعب فلسطين واسم بلادهم في عصر داود نحو 930 ق.م، بينما تصمت عن ذكرهم في عصر قريب من المسيحية نحو عام 130 ق.م؟ لا يبدو ذلك منطقياً أو معقولاً بأي شكل من الأشكال.

إن مسرح المعارك، وكما يتبين من نص سفر المكابيين كان في بلاد اليهودية القديمة وليس في فلسطين. وبالطبع، فقد افترض المستشرقون أن المقصود من اسم هذه البلاد " فلسطين "، وهذا ما لا دليل عليه؛ بل أن التاريخ القديم يكذب جملة وتفصيلاً مثل هذا الزعم. إن أحداً في العالم كله، لا يملك اليوم ولا بالأمس البعيد، أي دليل يستند إلى سجل أو أثر أو نقش، يؤكد أو يلمح مجرد تلميح إلى أن المقصود من بلاد اليهودية فلسطين، أو أن تكون بلاد اليهودية ظهرت في أرض فلسطين. ومن المنظور التاريخي ذاته، فقد جرت الحملة بعد استيلاء أنطيوخوس على مصر مباشرة، حيث تمكن بعد سنتين فقط من دخول أورشليم. لكن، أي أورشليم؟ وهل كانت تدعى القدس؟ وهل كانت أورشليم هذه في فلسطين؟ وهل حدث التمرد على الرومان، أو ما يسمى في الموارد التاريخية الأوروبية والغربية عموماً بـ " ثورة اليهود على الرومان " في فلسطين؟ ما تقوله الرواية هو الآتي : إن يهوذا المكابي، وبعد نحو اثنين و ثلاثين عاماً من بداية الحملة الرومانية التي انتهت باحتلال أورشليم، أصبح ملكاً على " بلاد اليهودية " أي في العام 166 ق.م. ومع صعود يهوذا بدأت منذئذٍ ، سلسلة جديدة من المعارك والصدمات الدامية بين اليهود والرومان. والسؤال المنطقي الذي يجب أن يطرح على علماء التاريخ: ومن هم هؤلاء اليهود؟ من أين جاءوا، ولماذا اصطدموا بالإمبراطورية الرومانية؟ وإذا كان اصطدموا بها في فلسطين، فلماذا لا تذكر السجلات الرمانية الموثقة أي شئ عن هذه المعارك؟ ولماذا لا تقول – هذه السجلات- أن الرومان استولوا على أورشليم أو القدس في فلسطين خلال هذه الحملة؟ دعونا نعيد بناء الرواية التوراتية لتخليصها من المخيال الاستشراقي السقيم الذي قرئت به.

تقول التوراة أن يهوذا المكابي ولد في موضع يدعى "مدان" - بكسر الحرف الأول- لأب كاهن يدعى متنيه بن يوحنا بن سمعان، وأنه من قبيلة " بني يريب"، وأنه عندما أصبح ملكاً في " اليهودية" واجه أكبر حملة عسكرية رومانية، كان قائدها المباشر أبلونيوس حاكم مقاطعة " السمررا" - وليس السامرة كما تزعم القراءة الاستشراقية-؛ حيث اصطدم في معركة وادي حورون. تمكن يهوذا في هذه المعركة المبكرة من حياته كملك قبائلي حازم، من إلحاق هزيمة قاسية بالقائد الروماني الذي فرّ من ساحة المعركة مع رجاله باتجاه الساحل. في هذا الوقت كان أنطيوخوس يستعدّ لتجهيز حملة كبرى على فارس نتيجة لإفلاس الإمبراطورية الرومانية، وحاجتها إلى خوض حروب جديدة من أجل النهب. اتجه أنطيوخوس من مصر نحو بلاد الشام، وتوقف في أنطاكية التي اتخذها عاصمة له. ثم أصدر أوامره بتعيين بطليموس (قائد إقليم سورية وفينيقيا) وجرجياس أحد أبرز ضباطه، قائدين للحملة على فارس؛ ولذا قام القائدان فور صدور الأمر لهما ، بتجنيد مرتزقة من القبائل الموالية للرومان. ومن بين هذه القبائل التي تم تجنيدها لمهاجمة فارس قبيلة تدعى في التوراة باسم واضح وصريح هو بنو إسرائيل.

كان التجنيد يجري بوسائل قسرية وبأساليب فظة ومهينة. ومع ذلك سارعت بعض الجماعات تحت التهديد إلى إرسال فرسانها، انطلاقاً من مكان يدعى "أدم". أدت هذه الإجراءات بيهوذه المكابي ملك بلاد اليهودية إلى الصدام مع جرجيوس لمنع عمليات التجنيد القسرية هذه. وهكذا، وإبان التحضيرات لغزو فارس في حملة عام 166 ق.م، اشتبك الرومان مع يهوذه المكابي في معركة "عموأس". ثم وقعت -تالياً- معركة أخرى في موضع يدعى "جازر" وفي "نجد أدم". والنجد هو المرتفع من الأرض. كما جرت معركة أخرى في "يمنيه- منيه"- والياء حرف لاصق مثل يعرب في عرب، ويكرب في كرب وهذه لغة يمنية، في الواقع كان هناك باعثن قويان بالنسبة ليهوذا المكابي للاحتجاج على زج بني إسرائيل وبلاد اليهودية في الحرب ضد فارس، الأول، له صلة بما يمكن اعتباره نوعاً من الوفاء لذكرى تحرير اليهود من الأسر البابلي بعد مرسوم قورش. وبالطبع، فلم يكن يهوذا المكابي أو سواه من ملوك بلاد اليهودية، وبسبب قوة هذا الباعث الأخلاقي، قادراً بأي صورة من الصور على الانخراط في حرب ضد فارس. أما الثاني، فكانت له صلة بالروح الاستقلالية للملك العربي اليهودي الجديد. وفي العام التالي؛ وعندما كانت العلاقات السياسية بين الرومان وبلاد اليهودية "تدهور بسرعة، وتلوح في الأفق بوادر معارك ضارية جديدة، بدا لكل القبائل في نجد والبادية وفي عموم المنطقة، أن الرومان كانوا يسرعون الخطى باتجاه الحرب مع فارس، ويقومون لهذا الغرض بتجميع قواتهم ويضعونها تحت أمره لسياس، وفي الآن ذاته كانوا يحشدون قوات أخرى قوامها 60 ألف جندي مهمتها الوحيدة وضع حدّ لتمرد المشيخة القبلية التي كانت تدعى بلاد اليهودية. وهكذا اندلعت المواجهة الدامية بين بلاد اليهودية والرومان من جديد. وخلال أولى المعارك نجح الرومان في التقدم نحو "بيت صور" لتعسكر قواتهم هناك؛ وهو ما عدّه يهوذه المكابي إنذاراً باجتياح وشيك لبلاده. وفي هذا الوقت ومع تزايد الحشود الرومانية، قرّر أن يعتصم، هو ورجاله في جبل حصين يدعى **جبل صهيون** (صهيون وصهيون في الطبقات العربية من التوراة) تفادياً لهزيمة منكرة. ومع ذلك نشبت قرب صور (بيت صور) معركة أخرى أقل ضراوة. كان يهوذه عازماً رغم متاعبه مع الرومان، على فرض نفوذه السياسي والديني في بلاد اليهودية؛ بل ومدّ هذا النفوذ إلى أراض جديدة، يقطنها أبناء عمومته وخصومه القدماء "**بنو عيصو**" في جبل "أدم". ولذا هاجم موضعاً لهم يدعى "**عقريتين**- من الاسم قرب والتاء والنون لاصقتان وليستا من أصله: **القرب**". كما هاجم جماعات بدوية من السدراق واللصوص في محيط منطقة "**بئين**" فأخضعهم لسلطانه. وأخيراً سار بقواته نحو مضارب بني عمون. ولسوء طالع يهوذه، فقد صادفه في طريق حملته على بني عمون، جيش كبير بقيادة القائد الروماني طيموتوس. لكن الظروف المناخية وطبيعة المعركة ساعدتاه هذه المرة على تخطي عقبة الهزيمة المنكرة أمام القوات الرومانية؛ إذ تمكن من إلحاق الهزيمة بالقائد الروماني المحلي ولیدخل منتصراً إلى مكان يدعى "يعزور- عزور"، ثم ليقتمح توابعه من العزلات والقرى الصغيرة. وعلى الفور تناهي خبر انتصار يهوذه إلى أسماع القبائل العربية اليهودية التي هلّ بعضها لاندحار الرومان؛ فيما فرّت بعض القبائل المتواطئة معهم إلى موضع يسمى "دي تما- ذي تمه"، خوفاً من انتقام المكابين.

في هذه الأوقات تلقى يهوذا المكابي وأشقائه، كتاباً من بعض القبائل العربية المتورطة في تحالفات عسكرية مع الرومان، تبدي فيه استعدادها في ضوء الانتصارات المتتالية للتعاون معهم على دحر القائد المحلي طيموتوس نهائياً، وربما طرده من إقليم السمرا - السمرام التي حوّلها الرومان قاعدة سياسية وإدارية وعسكرية في قلب الجزيرة العربية. كما ضمن يهوذا في سياق هذه التطورات انحياز قبائل حليفة له، كانت تُقيم في " طَبوت - طَبوت " القريبة من مسرح الحرب. وبعد هذه الأحداث بوقت قصير، قرّر -وفي إطار سياسة جديدة- القيام بسلسلة من الحملات العسكرية لطرد الولاة الرومان الذين عينتهم روما كحكام على الأقاليم والمقاطعات العربية؛ فتمّ له تجهيز حملة على منطقة تدعى " الجليل " لطرد الوالي الروماني منها، وأوكل لشقيقه سمعان مهمة قيادة القبائل في معركة فاصلة لهذا الغرض، بينما اختار السير بنفسه نحو موضع جبلي وعر يدعى " جلعَد ". وبينما كان يهوذا المكابي وشقيقه الأصغر يوناتان، يعبران وادياً يسمى في العبرية " ها- يردن -ه- ١٦٦٦ " وبعد ثلاثة أيام من المسير في وادٍ يدعى " العربيه הערבנה "، سمعا من القبائل البدوية المرتحلة في المنطقة، أن الرومان دمروا مضارب "بُصرة" و" باصر" وأنهم دخلوا موضعاً يدعى " علم "، وآخر يسمى " كشور" كما استولوا على "مقيده" و" قرنينيم - القرن"، وأنّ القبائل الموالية لهم هناك، باتت مُحاصرة. أجبر هذا التطور المفاجئ، يهوذا المكابي على تغيير وجهته، وربما إحداث تعديل جوهري على كامل خطته الحربية، وبالفعل، أتجه بقواته بدلاً من " جبل جلعَد " إلى " باصر " التي تمكن من دخولها بسرعة، ليتفرغ لطرد الرومان من موضع يسمى " حيلمه - حلمه ". بيد أنّ القائد الروماني المحلي طيموتوس فاجأه بجيش كبير تمّ تجميعه في " رفون" وفي وادي " العُبر " . وهكذا، كان على يهوذا المكابي الدخول في معركة ضارية جديدة سوف تمكنه، كما تقول لنا الرواية التوراتية، من تحقيق انتصار لامع في وادي " سيان "؛ بل والصعود منه إلى جبل " صيون- صهيون " مبتهجاً بإمكانية حرمان الغزاة من فرصة الاستيلاء على أورشليم . ويبدو أن وهج الانتصارات اللامعة والمتتالية التي حققها يهوذا المكابي وأشقائه من قادة الجيوش، أغرى بعض القادة الصغار في جيشه على مواصلة المعارك لتحقيق انتصارات أخرى سهلة على الولاة الرومان، وهذا ما يُدلل عليه قيام هؤلاء بالتحرك صوب إقليم مجاور لجبل صهيون يسمى " يمينه - منيه " وهو من السهول الخصبة. بيد أنّ هؤلاء سرعان ما واجهوا هزيمة ماحقة هناك على يد الرومان المُتحفزين. وفي وقتٍ تالٍ من هذه الأحداث، زحف على منطقة جبلية تدعى " جنب- سراة جنب " - وفي العبرية: ها- نجب، ثم " حبرون " فاجتاز موضعاً يسمى " مريشه " قبل أن يصل إلى موضع " ء شُدُد ". وكانت إحدى أهم معاركه في هذا الوقت، قد وقعت في مكان يدعى " كفر سلمة " وآخر يسمى " بثروت- بثرة "، إذ أمكن مطاردة القوات الرومانية هناك حتى وادي " حصور- حضور ". لكن، بين أعوام 160-143 ق.م وبعد وفاة يهوذا المكابي، صعد إلى عرش بلاد اليهودية شقيقه يوناتان. كان على الملك الجديد أن يواصل السياسة ذاتها: طرد الولاة الرومان من المنطقة. فكانت أولى المعارك التي وقعت في عهد الملك الجديد، معركة " نجد تقوع ". لقد بدا يوناتان، في سبيل خوض معركة كبرى جديدة وناجحة، بحاجة ماسّة لمساعدة القبائل العربية المقيمة في وادٍ يدعى " ء نبطه ". ولذا أرسل على وجه السرعة شقيقه يوحنا، رسولاً إلى هذه القبائل لضمان إسنادها ودعمها.

بيد أن القبائل البدوية في "ء نبطه"، وبدلاً من تقديم المساعدة للملك الجديد، قامت باغتيال رسول الملك وشقيقه في معركة مفاجئة عند وادي "مدبء". سمع الرومان بأنباء هذه المعارك المفاجئة بين القبائل وبمصرع رسول الملك؛ ولذا زحفوا نحو وادي "ها- يردن" لتطويق المشتبكين وتدميرهم. وهكذا وقعت معركة جديدة كبرى ضد الرومان في مكان يدعى "الغوص". بيد أن يوناتان ورجاله، أفلتوا من الكمين الروماني وفرّوا من الوادي. في النهاية، زحفت القوات الرومانية في إثر الفارين، ودخلت منطقة جبلية وعرة تسمى "عمواس - أعماس" ووادي "بيت حورون" و"ءيل- الإل" و"تمنية"، كما حاصرت جبل "ثفون- ثفن" ووادي "بيت بيص- بيص". وفي وقت تال، وفي سياق هذه الصدامات الدامية، أخفق الرومان في معركة جرت عند مرج "مكس- الكامس".

لكن، ومع صعود بطليموس الرابع في مصر وتولية العرش، بدأت تطفو على السطح علامات جديدة على إمكانية عقد معاهدة صلح بين الرومان وبلاد اليهودية. وبالفعل، جرى إبرام المعاهدة الجديدة قرب مكان يسمى "يفو- يفاء". وبموجب معاهدة الصلح تسلّم يوناتان مقاطعتي "أفرمه" و"لده- لذة" من الإدارة الرومانية، بالإضافة إلى "المرتنيم - الرمة" التي ضُمَّت إلى بلاد اليهودية. وفي أعوام 143-134 ق.م. سعد نجم الشقيق الأصغر: سمعان كقائد لجيش اليهودية. لكن صعوده هذا جاء في وقتٍ عادت فيه العلاقات مع روما إلى التدهور. ومع أولى المعارك في هذه الحقبة وقع يوناتان الملك أسيراً في يد الرومان. كانت مهمة القائد الجديد سمعان تحرير شقيقه الملك من الأسر. ولذا أتجه بقواته نحو "حدد" حيث أقام هناك معسكراً أتخذه لغرض إطلاق عملية تفاوض صعبة ومُعقدة. ويبدو أن المفاوضات منيت بنكسة خطيرة وغير متوقعة، فقد هاجم الرومان منطقة "ء دورة- الدارة" بينما كانت الثلوج تغطي جبل "سقم" (في النص العبري: ب- سكمه، أي بحرف الجر - ب-: في سكمه أو سقمه. أما في الترجمة العربية فاعتبر حرف الجر من أصل الاسم). واعتباراً من هذا الوقت، غاصت الإمبراطورية الرومانية بمشاكلها الداخلية العويصة وبحروبها مع فارس، بينما نعمت بلاد اليهودية في سلام طوال هذه الحقبة. ثم تختتم التوراة روايتها لهذه الحقبة من تاريخ المعارك مع الرومان، بالقول أن سمعان توفي وتمّ دفنه في حصن دوق.

كيف نروي الرواية بصوتنا لا بصوت الآخر؟

هذه هي - بإيجاز شديد- أهم الأحداث التي وقعت في ما يُدعى "بلاد اليهودية" التي يُزعم من جانب كتاب التاريخ التوراتي، أنها وجدت في شمال فلسطين؟ وفي التراث الكتابي تدعى الضفة الغربية وغزة باسم بلاد "يهودا والسامرة" استناداً إلى ما ورد في سفر المكابيين. لقد قدر لهذه الأحداث أن تُروى مرتين، مرة بصوت كاتب "سفر المكابيين" ومرة أخرى بصوت أوروبي- استعماري لا يعرف أيّ شيء عن جغرافية الرواية التوراتية. وفي هذا الإطار، فليس أمراً مفاجئاً أن نلاحظ التناقض الصارخ في ما يقوله الصوتان، كل بحسب منطقته وطريقة سرده وحتى شكل نطقه للأسماء. بيد أن الأمر المحزن بالنسبة لي - في هذا التناقض- أن كثرة من الكتاب المعاصرين وفي روايتهم للحقبة الرومانية من التاريخ الفلسطيني، لا يملكون من الوثائق العلمية سوى القليل، ولذا فهم في الغالب الأعم يستندون إلى هذا السفر كما تم تأويله من جانب الاستشراقين

والتوراتيين المتعصبين. ولا يكاد يوجد اليوم، في حوزة الرواة المعاصرين وكتّابها، وثيقة أخرى موازية أكثر دقة أو موضوعية. والمثير للاهتمام أن هيرودوت (نحو 450 ق. م) لا يذكر، في تاريخه، أيّ شيء عن " بلاد اليهودية " هذه في فلسطين، مع أن الفاصل الزمني بين عصر هيرودوت وأحداث السفر، تجعل من الصعب تصور أن المؤرخ اليوناني تجاهل وجود بلاد اليهودية في فلسطين (نحو 200 عاماً فقط)؟ وإذا كانت مملكة اليهودية قائمة قبل المرحلة السلوقية، فمن غير المفهوم تغاضي المؤرخين والجغرافيين عن الإشارة إليها، مع أنهم كتبوا عن تلك الحقبة ووصفوا بدقة جغرافية متناهية كل جزء من المنطقة؟ فأين يجب أن نضع هذا المقطع من التاريخ الروماني؟ هل نضعه ضمن التاريخ الفلسطيني وعلى أيّ أساس؟ وهل هناك ما يُثبت أن مسرح المعارك هو مسرح فلسطيني؟ وإذا كانت المواضع الواردة في هذا النص، هي مواضع وأماكن وجدت ذات يوم في فلسطين، وأن المعارك ضد الرومان جرت هناك بالفعل؛ فلماذا صممت النقوش والسجلات الرومانية عن ذكر أيّ شيء عنها؟ وأخيراً: لماذا لا نجد في جغرافية فلسطين أيّ موضع من المواضع المذكورة، مع أن التاريخ المحتمل لاندثارها يبدو مُلتبساً ومتناقضاً مع فرضيات العثور على مواضع أقدم ذكرتها التوراة؟ فإذا كان ممكناً الإدعاء أن علماء التوراة عثروا على أسماء مواضع من عصر موسى قبل خمسة آلاف عام ق.م (في فلسطين) ومن عصر (سليمان 1920 ق م) فمن باب أولى أن يعثروا على أسماء مواضع تعود إلى عصر قريب جداً (نحو العام 160 ق.م)؟ سنقوم، في إطار رواية جديدة لهذه الحقبة، ولأجل وضعها ضمن التاريخ الحقيقي، وهو تاريخ الحملات الحربية اليونانية- الرومانية ثم البيزنطية على الجزيرة العربية واليمن وعلى ساحل البحر الأحمر، لإخضاعه والسيطرة عليه وليس من أجل السيطرة على فلسطين؛ بالخطوات التالية :

أولاً :

سنقوم بإعداد قائمة بأسماء المواضع الواردة في النص، ومقاربتها مع الأسماء الواردة في قائمة الهمداني في كتابه الشهير " صفة جزيرة العرب " .

ثانياً :

سوف ننشئ مقارنة جديدة بين الرواية التوراتية، ونصوص ابن العبري عن يهوذا المكابي و" بلاد اليهودية " .

ثالثاً :

كما سنقدم مقارنة موازية للوصف التوراتي لبلاد اليهودية، مع وصف الجغرافي اليوناني بطليموس الذي نقل الهمداني شهادته لنا.

رابعاً :

كما سنقوم – في سياق هذه المقاربات- بتحديد المقصود من اسم المكان الذي أعطى ليهوده لقبه الذي عُرف به: (المكابي) ونقوم- استطراداً - بإعادة تنسيب " الحسيديين والحشمونيين " وتأويل حملهما لهذين اللقبين الدينيين.

مدخل إلى " تصحيح التاريخ الفلسطيني القديم "

ابتداءً، يتعين التأكيد، أننا لا نلجأ إلى لعبة المقاربة اللغوية بين أسماء المواضع، ولن نلجأ إليها تحت أي ظرف. كل ما في الأمر، أننا نجادل روايات الاستشراقيين من منظور تاريخي، وهذا يتطلب منا استخدام وثيقة تاريخية وجغرافية عظيمة تركها لنا الهمداني مؤرخ اليمن، قصد البرهنة على أن الهمداني وصف المسرح نفسه لهذه الأحداث، بوصفه مسرحاً عربياً في قلب الجزيرة العربية (جنوب وجنوب غرب) وليس في فلسطين. كما سندعم هذه الشهادة بما تركه لنا الشعر الجاهلي من وصف دقيق للأماكن والمواضع الواردة في التوراة، وبنفس الصيغ دون أدنى تلاعب لغوي. كما يتوجب الأخذ بنظر الاعتبار الحقيقية المذهلة التالية: إن فلسطين التاريخية لا تعرف في أي وقت من تاريخها القديم، أي اسم من الأسماء الواردة في هذا السفر لا في صورة جماعات من القبائل، ولا في صورة أماكن أو قرى، ولذلك تجاهلها اليهود واعتبروها نموذجاً دالاً على " جهل كاتب السفر " بجغرافية فلسطين؟ وباستثناء أسماء بعض القرى الصغيرة مثل (قرية علما في قضاء صفد) التي يزعم أنها هي ذاتها " علم " الواردة في التوراة؛ فإن لا دليل على وجود أي تشابه أو تماثل بين الأسماء الواردة في التوراة وجغرافية فلسطين. هذه الملاحظات ضرورية وحاسمة لجهة تفهم النظرية التي يطرحها هذا المؤلف الصغير بصورة صحيحة، خالية من الأحكام المسبقة والمتعجلة.

إن تصحيح تاريخ فلسطين القديم، يستحق من الباحثين العرب، القيام بمغامرات علمية جريئة من هذا النوع في سياق تحدي رواية الغرب الاستعماري ودحضها من أساسها. ولنبدأ من النقطة الأخيرة: إن الاسم التوراتي " مكابين - مكابين "، لا وجود له شمالي فلسطين كاسم لموضع بعينه مهما فتشنا هناك، بينما يمكن لنا أن نجد بسهولة في الامتداد الجبلي لمنطقة اليمامة ومرتفعاتها في صورة (كاب). وفي اللهجة اليمنية (مكاب، مثل : كمس : مكمس، نوب: منوب) . وهذا الموضع يقع ضمن جغرافية اليمن القديم وفي نجدها (مرتفعاتها) كما وصفها الهمداني. وعلى مقربة من " كاب " هناك موضع (مدان-مدان في النص العبري) التي ولد فيها يهوذا - هؤذا لأسرة كاهن من كهان نجد اليمامة الممتد باتجاه اليمن، يُدعى متنا من بني يريب- ريب. والياء في الأسماء من الحروف اللاصقة كما قلنا وهي لهجة يمنية، استخدمت كأداة تعريف منقرضة (الريب). وليس هؤلاء، بطبيعة الحال وكما يشي أسمهم، سوى قبيلة بني الريب - ولنتذكر اسم أشهر شعراء هذه القبيلة الشاعر الجاهلي مالك بن الريب-. والمثير للفضول أن هذه القبيلة تقيم على مقربة من الجليل - الجليل في النص العبري؛ بل وقرب موضع حدد- حدد الذي دارت فيه إحدى أهم المعارك ضد الرومان في قلب الجزيرة العربية . وأخيراً وليس آخراً، أن بني الريب يقيمون على مقربة تماماً من موضع ء نبطه- ء نبطه. وهذا ما يفسر لنا سبب طلب المساعدة منهم في مواجهة الرومان الزاحفين . ولسوف نرى هذا المغزى عندما يقوم يوناتان بالانتقام من بني يمرء- المرء لقتلهم شقيقه يوحنا، حين أرسله لطلب المساعدة في مواجهة الرومان. هذا فضلاً عن أن كاب- الكاب ليست بعيدة عن بيت ء يل- الإل التي جرت فيها معركة أخرى. وسيكون أمراً مدهشاً عندما نعلم أن سائر هذه الأماكن هي في الفضاء الجغرافي ذاته لموضع حسم - حشم الذي جاء منه اسم النسبة الحسمونيون - الحسمونيون.

هاكم على سبيل المثال وحسب، وصف الهمداني (صفة: 295-296) لهذه المواضع كما وردت في السفر التوراتي - ودون أي تلاعب لغوي من جانبنا- :

(من اليمامة إلى نجد : حرص وعمير والغمر وغمر ذي كندة والسرّ وعافل
وبه قبر الحارث الملك، والكاب ، ووادي قاعة من أرض تميم "...." وأدم
بديار مزينة - وأدم بالسحول- جبلان، وذو الجليل من مواضع الوحش "...."
ثم الغميصاء لكنانة في تهامة الحجاز ، وحدد أرض لكلب وحسم ويُقال- له- ذو
حسم والإل جبل وأنبطه وهي- من- مواضع الوحش) - انتهى النص-

هذا هو الفضاء الجغرافي المتكامل لمسرح الحرب وللمنازل القبلية التي وصفتها التوراة،
منزلاً إثر منزل، وحيث عاشت هناك كل الجماعات المذكورة : ها هنا الكاب -مكاب
(وفي لهجات اليمن غالباً ما تُلصق الميم في أول الاسم باعتبارها أداة تعريف منقرضة
مثل عم- سفر في السفر كما في كلام الحميريين) وها هنا جبل أدم في نجد اليمن الذي
هاجمه يهوذه-هوذه لفرض نفوذه على أبناء عمومته من بني العيص - عيصو، وعلى
قربة منه وادي الجليل - الجليل، حيث وقعت عند سفوحه معارك ضارية مع القوات
الرومانية، فضلاً عن حد و عيل وأنبطه وقاعة - تقووع .وأخيراً ها هنا موضع حسم -
حشم (وفي النطق العبري فإن السين والشين حرف واحد) الذي جاء منه اسم الجماعة
القبائلية الحسمونيين - الحشمونيين . إن تاريخ الحملات الرومانية على الجزيرة العربية،
لإخضاع قبائلها وبسط نفوذ الإمبراطورية فيها، يجسد في بعض مقاطعه الساخنة حلماً
قديماً لطالما راود اليونانيين من قبل.لقد بدأت هذه الحملات انطلاقاً من مصر منذ عصر
البطالمة واستمرت حتى زوال الإمبراطورية البيزنطية.بيد أن الأهم من ذلك، رؤية
مغزاها في سياق الصراعات القديمة بين الآشوريين والمصريين، حين تزاحم المصريون
والعراقيون القدماء وتدافعوا بالمناكب للاستيلاء على خطوط التجارة الدولية عبر البحر
الأحمر. إنه لأمر صعب حقاً، وخارج كل منطق تاريخي أو جغرافي، تخيل وقوع هذه
الحروب في فلسطين، لسبب بسيط للغاية، هو أن بلاد الشام التاريخية كلها، كانت في هذه
الآونة، تخضع فعلياً للسيطرة الرومانية المباشرة؛ بينما ظلت الجزيرة العربية واليمن-
على العكس من ذلك- عصيةً عليها، ولم يتمكن الرومان من تحقيق وجود مستقر وفاعل
في اليمن، حتى مع سقوط ميناء عدن في العام 50 ق. م ، عندما نفذوا إنزالاً بحرياً ناجحاً
هناك؛ بل إن الإسكندر المقدوني -وقبل نحو قرنين من هذه الأحداث- لم يتمكن من تحقيق
هذا الحلم، ففي حملته الكبرى على الجزيرة العربية واليمن، وبالرغم من نجاحه في ترك
حامية عسكرية في جزيرة سوقطرة اليمنية قدرها الهمداني بعشرة آلاف رجل، لتأمين نفوذ
يوناني- إغريقي حقيقي هناك (وحتى اليوم لا يزال هؤلاء يعيشون في سوقطرة اليمنية
كقبائل عربية لها سجلات انساب ترتفع إلى اليونان وقد تسنى لي شخصياً رؤيتهم
والتعرف إلى بعض السكان ممن لا يزالون يعتقدون بأصولهم الإغريقية) فإنه لم ينجح
تماماً في فرض سيطرته على قبائل متمردة وغير مطيعة، وتملك فوق ذلك رابطة دينية
قوية ومستعدة بطبيعتها لقتال قاسٍ في مناطق وعرة.

إن التقسيم الإداري لفلسطين، والمعروف جيداً عند الباحثين، لا يتضمّن أيّ اسم من
الأسماء الواردة في سفر المكابيين. وهذا أمر مثير بالفعل؟ ولو افترضنا لأغراض السجال
العلمي وحسب، أن الرومان كانوا يخوضون صراعاتهم ضد يهوذا المكابي وبلاد اليهودية
في فلسطين؛ فإن لمن المنطقي توقع قيام الكتّاب الرومان بتسجيل أسماء المقاطعات التي
كانت خارج نفوذهم، أو التي سعوا إلى إخضاعها عبر هذه السلسلة من الحروب؟ والأمر
المدهش-في هذا الإطار - أن يتجرأ التوراتيون على إدعاء وقوع الأحداث في فلسطين في
عصر أنجز فيه الرومان، وسجلوا بدقة كافية ، كل ما يتعلق بالتقسيم الإداري لفلسطين
وببلاد الشام. وفي سجلات هذا التقسيم الإداري لا وجود لأي اسم مما ورد في السفرين؟

فارس وروما قرب أورشليم وجهاً لوجه

وفي الواقع؛ فإنَّ الحملات الرومانية - البيزنطية على فارس والتي يعرفها العرب جيداً - لأنها استمرت حتى عشية الإسلام - كانت تنطلق من مصر ومن بلاد الشام الخاضعة أصلاً لنفوذهم، حيث اتخذوا من أنطاكية عاصمة حربية وإدارية لهذه الحملات. وهذا ما يفسر لنا واقعة تاريخية كانت معروفة في الإسلام المبكر، عندما طلبت قريش من أبي بكر (رض) الدخول معها في رهان على انتصار فارس في الحرب مع بيزنطة. آنذاك، كان المسلمون الأوائل يراهنون على انتصار بيزنطة المسيحية على فارس الوثنية، وهذا ما تعبر عنه بدقة آية (غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون). وهذا يعني أن المعارك كانت في أدنى الأرض، أي على مقربة من أرض العرب لا في مكان بعيد عنهم. وبالطبع؛ فقد كان رهان فارس التاريخي، يقوم على فرضية أن الرومان سوف يغطسون في النهاية داخل رمال الجزيرة العربية. في الواقع لم تتوقف الحملات الحربية الرومانية على اليمن لانتزاعها من يد الفرس؛ حتى عشية الإسلام حين تركوا لوكيلتهم المحليّة (الحبشة) أن تبادر إلى احتلال اليمن نيابة عنها عام 525م.

كانت فلسطين وبلاد الشام في أعوام 160-134 ق.م هادئة، وتخضع كلياً لسيطرة الرومان؛ بينما كانت سواحل البحر الأحمر ونجران واليمامة ونجد، تشكل صداعاً مزمنياً يصيب روما بالدوار، جرّاء استمرار التحديات، تماماً كما هو الحال مع الإمبراطورية الآشورية التي لم توقف حملاتها الحربية من أجل تأديب الجماعات البدوية المتمردة في ساحل اليمن. بكلام آخر: إن الحملات الحربية الرومانية على اليمامة والساحل اليمني، انطلقاً من مصر - كما يقول السفر التوراتي - يجب أن يُنظر إليها كاستطراد في حملات تقليدية قام بها المصريون أنفسهم، إبان صراعهم مع الآشوريين. كل ما في الأمر، أن الرومان، أي حكام مصر الجدد في التاريخ المصري، كانوا يواصلون الدور ذاته الذي فرضته من قبل، مصالح مصر الإستراتيجية في ساحل البحر الأحمر واليمن (وهذا كما قلنا يجب أن يفسر لنا سرّ اهتمام مصر في عصر الزعيم الراحل عبد الناصر بدخول اليمن؟) .

وإذا ما وضعنا هذه التصورات، كأساس مقبول للحروب الرومانية، فسوف نتمكن بسهولة، من رؤية كل المواضع المذكورة في السفر التوراتي . هاكم وصف الهمداني للموضع الذي ولد فيه يهوذا- هوذا المكابي، وللمواضع الأخرى التي شهدت المعارك الدامية (صفة: 259-260) :

(الرّيان من مياه الصّباب وأيمن من قنوين وأسفل منه الفرية
والحصاة حصاة جبلة وعن يسارها بطن السرّ وهو أسفل وادي
الرمة "...." ويظهر النّير بينه وبين الجنوب بطن العبري
، وإحساء بني حوثه وحلاقيم وفي رأس العبري صوقع والمدان)

ها هنا المدان-مدان ، تماماً كما في النص التوراتي وعلى مقربة منها وادي الرُّمة (رمتيم) التي أُعيدت إلى سيطرة القبائل بعد المفاوضات مع الرومان. وها هنا وادي العبري – العُبر الذي شهد بعض المعارك، فضلاً عن هضبة جبلّة التي يقول النص- في تفاصيل لم نذكرها- أن معركة دامية وقعت فيها ضد الرومان . وها هنا القرية-ء فرمه- الميم اللاصقة هي أداة تعريف المنقرضة. أمّا الحسيديون- حسيديم الذين تمكن يهوذه- هوذه من استمالتهم ؛ فهم سكان موضع لا وجود له في فلسطين بكل تأكيد ؛ بينما يمكن لنا رؤيته بسهولة في جغرافية اليمن، وبالصورة ذاتها: وادي الحسيد.

هاكم ما يقوله الهمداني عن هذا الوادي وقبائله التي رأينا بعضها في الصفحات السابقة - (صفة : 137- 139) :

في وصف الساحل وقبائله وأوديته : ثم عتود وادٍ صغير ، ثم وادي بيض، ومأتيه من سراة جنب " " يرد العارة من أرض بني مسيح من شرقيه جبال السريح (انظر ما كتبناه عن قدس – المؤلف). ثم وادي الحسيد مأتيه من غرب جبل صبر، وجبل سامع، ثم يخرج المخا إلى البحر "...." فتجتمع جميع مياه رُسيان حتى تلتقي بالحسيد ، ويصبّان في موزع ، فينتهي جميع هذه الأودية في وطن حيس وبين أرض بني مجيد حتى تخالط البحر.

هذا هو باختصار شديد، وصف الوادي الذي جاءت منه الجماعة المُسمّاة (الحسيديون) والتي تمّ تخيلها على أنها جماعة مُتشدّدة دينياً بسبب الاسم الذي تحمله. هؤلاء الحسيديون سكان وادي الحسيد – حسيديم الذين يُقيمون في جبال السريح، أي على مقربة من جبل قدس إلى الجنوب من تعزّ، ويحملون أسم الجماعة التوراتية ذاتها ، ليسوا بكل تأكيد سكان فلسطين الذين أستمالهم يهوذه المكابي؛ بل هم من القبائل التي تعيش مع بني مجيد- مجدو. وها هنا وادي بيض – بيص، فضلاً عن سراة جنب. إن فلسطين التاريخية لا تعرف المكابين ولا الحسيديين ولا الحسمونيّين. ولذا؛ فإنّ الحملات الرومانية التي يصفها السفر، يجب أن يُنظر إليها على أنها استمرار للحملات الفرعونية القديمة للسيطرة على ساحل البحر الأحمر واليمن ونجران..وفي هذا الإطار سوف نقدم مقاربة جديدة لنسب يهوذه المكابي. تنتسب أسرة يهوذه- كما رأينا من النص- إلى قبيلة بني (يريب - ريب ، مثل : يمرء- مرء ، يعرم - عرم ، يهوذه – هوذه والياء والتاء حروف لاصقة معروفة في كلام أهل اليمن ولهجاتهم القديمة) . وهذا الاسم يجب أن يُحيلنا إلى اسم الوادي الشهير قرب مدان والذي تقول التوراة أنه مكان ولادة يهوذه (تيمناً باسم سبط هوذه) نعني وادي الريب .هاكم وصف الهمداني للوادي نفسه ولوادي يمرء حيث صرّح شقيق الملك ورسوله (صفة : 262-264)

(الريب وادٍ رُغاب ضخم فيه بطون من - بني- قشير.
 وأسفل وادي الريب وفي وسطه بنو حيدة ، ثم من فوق ذلك
 ممّا يحف الريب إلى بلاد باهلة. ومن قصد الشمال من الفلج
 وادٍ يُقال له الهزيمة بينه وبين اليمامة، ومن أخذ الثفن من
 الفلج إلى اليمامة أخذ أسافل أودية جعدة فيأخذ الغادي على
 أسفل الغيل من الثفن وهو وادٍ رُغاب كثير النخل كثير
 الحصون. ثم وادي المرء ثم البرك)

في هذه النصوص التي يقدمها الهمداني، يمكننا رؤية الوديان والجبال التي ورد ذكرها في
 السفرين التوراتيين. ها هنا الحسيد والريب وجبل الثفن وحُسم والعبرى والمرء (الذي
 ينتسب له بنو يمرء) بالتسلسل نفسه وبالصيغ نفسها وعلى مقربة من بعضها البعض،
 فضلاً عن سائر الأسماء الأخرى مثل مدان التي ولد فيها يهوذا. فهل ثمة ما يدعونا إلى
 الظن، مجرد الظن، أن هذا التطابق في الوصف وفي صيغ ومباني الأسماء هو محض
 مصادفة؟ لكن، ولأجل مقارنة جغرافية تجعل من هذا الحدث قابلاً للتصوّر ضمن وحدة
 جغرافية متكاملة ومتناغمة، هاكم وصف الهمداني للوديان الكبرى في اليمن : (صفة :
 137- 139) - النص مُختصراً- :

(في وصف وادي الحسيد : والوادي الرابع هو وادي
 الحسيد مأتيه من غرب جبل صبر. ثم يخرج المخا إلى
 البحر. ووادي الضباب إلى القرعاء من مناهل برداد
 وارض شرعب من بلد الركب وجبال شمير فتجتمع
 جميع مياه رسيان حتى تلتقي بالحسيد)

(ويضيف : 146-147) :

(والثاني وادي أبين وهو مما يلي لحج ومأتيه من شراد و
 بنا (ومن سائلة حورة التي تتألف من جبال الأعماس :
 المحقق) والثالث وادي يرامس والرابع دثينة والخامس
 أحور. وجبال السكاسك : جبل صبر للحواشب وجبال
 الركب وشمير)

هذا هو وادي الحسيد، وها هنا جبال الأعماس التي ورد ذكرها في معارك يهوذه المكابي مع الرومان. ومن غير شك؛ فإنّ الوصف الجغرافي الذي ترسمه التوراة بدقة للاماكن، باعتبارها مواضع جبلية ووديان، لا يترك أدنى مجال للاشتباه بأن ما نقرأه يقع في نطاق المصادفة اللغوية وحسب، ذلك أن وجود هذه المواضع وبالتوصيفات نفسها وفي فضاء جغرافي واحد (يمتد من اليمامة حتى أعالي نجد اليمن وسراتها) أمر يستحيل رده إلى مجرد مصادفة جغرافية جمعت الأسماء نفسها. هذا يعني أن الذين وضعوا سفر المكابيين ضمن التاريخ الفلسطيني، إنّما كانوا يزورون التاريخ الإنساني برّمته، لأنهم يحشرون فيه جماعات وعصور لا وجود لها . ولذا؛ يتوجب أن نشطب من التاريخ الفلسطيني عصرا" بأكمله، وهذا ما سوف يتضح لنا بصورة دقيقة حين نقوم برواية التاريخ بصوتنا.

القدس ليست "أورشليم العصر الروماني"

لماذا لم يسجل كاتب سفر المكابيين، وهو يتحدث عن احتلال أورشليم العاصمة الدينية لبلاد اليهودية من قبل الرومان، أنها "القدس" أو هي "قدس"؟ ولماذا اكتفى بالقول أن أورشليم سقطت في يد الرومان؟ كان الرومان، ومنذ تفكك الإمبراطورية اليونانية وانتقالها إلى البطالمة في مصر، والسلوقيين في العراق وخراسان وسواها، وبعد نحو اثني عشر عاماً من وفاة الإسكندر المقدوني ودخول العالم القديم في عصر جديد إغريقي- روماني بدءاً من عام 330 ق.م؛ يدركون الأهمية الإستراتيجية لسواحل البحر الأحمر. ولذا راحوا يصوبون أنظارهم نحو الجزيرة العربية واليمن، بعد أن تم لهم إخضاع بلاد الشام. وفي الواقع، لم تكن هناك تحديات تُذكر في فلسطين أو بلاد الشام، بالمقارنة مع المتاعب التي تسببت بها القبائل البدوية في الجزيرة العربية واليمن، وهذا ما يُفسر على أكمل وجه، السبب الحقيقي لوجود تقسيم إداري روماني في فلسطين. إن هذا يُدل على عصر من الاستقرار لا على عصر من الفوضى والحروب؛ والمثير أن هذا التقسيم لا يتضمّن أي اسم من أسماء المواضع والمدن والأماكن الواردة في سفر المكابيين؟

هكذا، ونحو العام 160 ق.م، فقد كان هناك حاكم روماني على إقليم بلاد السمرا (وبالعبرية: مدينة أي: بلاد) كما كان هناك ولاية من ضباط الجيش في سلسلة من المناطق تمتد إلى وادي حورون. وبالطبع فليس ثمة في فلسطين أي وادٍ قرب البحر بهذا الاسم، ويصفه السفر بأنه على مقربة من البحر؟ لقد حدثت أولى المعارك ضد حكام المقاطعات الرومانية في أماكن متفرقة لا وجود لأي منها في فلسطين، ولا بأي صيغة من الصيغ. فإلى ماذا يشير هذا؟ ببساطة، يشير هذا الأمر إلى حقيقة أن المقاطعات المذكورة في السفرين لم تكن في فلسطين؛ بل في نجد واليمامة وبعض أجزاء اليمن والتي لم يكن ممكناً إخضاعها فعلياً، أو السيطرة عليها بشكل مباشر، ولكن يمكن إدارتها بواسطة حكام يتلقون، باستمرار وكلما اقتضت الحاجة، دعماً حربيّاً يتمثل في الحملات التآديبية للقبائل. وفي هذا النطاق؛ ركز الرومان على سياسة إنشاء قاعدة عسكرية خلفية لدعم عملياتهم الحربية في أنطاكية- التي أصبحت العاصمة الحربية والإدارية منذ عصر بطليموس الصغير. يقول سفر المكابيين ما يلي: إن الرومان تعرضوا لهزيمة ماحقة على يد يهوذا المكابي في وادي حورون وفي جزر - جازر حسب الرسم التقليدي في التوراة العربية -، وأنهم فرّوا من القتال باتجاه البحر. كما نعلم من السفر أن يوحنا شقيق يهوذا، قُتل في وادي حورون على يد عصابة من بني يمرء، وأن إحدى المعارك وقعت في عسدد التي جرى تخيّلها في صورة أشدود.

إننا لا نعرف ضمن خريطة فلسطين القديمة، أي موضع يُدعى حورون، يمكن الوصول منه إلى موضع يدعى جزر، أو الهروب منه إلى البحر، كما لا نعرف أشدود قرب هذه المواضع؟ بينما نعلم من وصف الهمداني أن هذا الوادي هو بالفعل لقبيلة تحمل الاسم نفسه، وأن وادي جزر يجاوره، وهما معاً يصبان في البحر، وأن عسدد أسم لوادٍ بعينه في اليمن، وأنه المكان الذي تُقيم فيه القبيلة اليمنية التي تحمل الاسم نفسه؟

يقول الهمداني (صفة : 186-187) ما يلي :

في وصف الطريق إلى ردمان : عقد والصدر لبني عبد من حمير ،
حضانان واديان للمريين.أودية منها حوران كلها لبني مر. وادٍ
كثير النخل لبني شداد .

هذه الطريق، كما سبق لنا ورأينا، تؤدي إلى الساحل. وهذا يعني أن المعارك التي دارت بين يهوده والرومان لم تقع في فلسطين، لسبب بسيط للغاية هو أنها لا تعرف أي اسم من الأسماء الواردة في سجل أحداث السفرين التوراتيين (وادي حوران- حورون وجُزر وشداد- عشد) . والأمر المؤكد أنها وقعت في الساحل اليمني ن ينبني لا على المصادفة اللغوية أو الجغرافية، وإنما على حقيقة أن التاريخ العسكري لروما في هذا الجزء من العالم، وفي عصر انطيوخوس وخلفائه تحديداً ، كان- بامتياز- تاريخ الحملات الحربية على فارس واليمن وسواحل البحر الأحمر، وليس على فلسطين أو بلاد الشام. علماً أن اليمن كانت هدفاً مغرباً بالنسبة للرومان، لأنها كانت تخضع لنفوذ فارس السياسي والديني. أما فلسطين وبلاد الشام، فلم تكن تعرف اضطرابات متواصلة وعنيفة وجديّة، تستدعي مثل هذه الحروب؛ بل إن المسرح الصغير لبلاد الشام وفلسطين من المنظور الجغرافي لحملات ضخمة، كتلك التي وصفها السفر، لا يحتمل تواملاً وعنفاً وزخماً ، وإمكانات على المقاومة المستمرة، تتحقق فيه انتصارات لامعة على الرومان. إن منطق الأحداث يخالف أي محاولة لوضعها داخل التاريخ الفلسطيني.

هذا الإطار التاريخي - الجغرافي المقترح ، سوف يسهل (على القراء غير المتخصصين) إمكانية تتبّع التوصيف التوراتي للمواقع التي دار فيها القتال.

وهاكم ، أولاً، القائمة التي أعدناها عن النص :

1 : أدم - أدم	21: جزر- جُزر
2: ء قربتن - القرب	22: بيت زيت- بيت زيت
3: بني بين - بني بين	23: سلامة- سلامة
4 : يعزير- عزور	24: تقوع- قاع
5: دي تيمه - ذي تمه	25: الغوص- الغوص
6 : ظبت - ظبوة	26 : أنبطه - أنبطه
7 : الجليل- الجليل	27: بني يمرء- بني المراء
8: صور - صور	28 : ءيل- الإل
9 : صيدا - صيده	29 : تمنية- منيه
10: عرابات - غرابات	30 : بيت بيص- بيص
11: بصرة- بصرة	31: مكماس- الكامس
12: باصر- باصر	32: عفرة- عفرة
13: علم - علم	33: لدة - لدة
14: مقيد- مقيدة	34: رمتنيم- الرمة
15: حيلم - حيلم	35: حصور- حضور
16 : رفون- رفون	36 : الزبيديون- الزبيديون
17 : بيت سان شان- بيت بشان	37: ء دوره- الدور
18 : كشور - كشور	38 : سكمه - سقمه
19 : ءرص-جنبه - ارض جنب	39 : عزة
20: حبرون - حبر	40: حصر مئيل
	41: حصن دوق- دوق

42: يمنيہ - منيہ

تتضمّن القائمة - أعلاه- طائفة من المواضيع، التي سبق لنا البحث عنها وتحديدها ضمن جغرافية اليمن القديم؛ ونحن، كما هو واضح، نكتفي بعرض معظم، وليس كل المواضيع منعاً للتكرار.- إن أي اسم من هذه الأسماء لا وجود له في ارض فلسطين التاريخية على وجه الإطلاق. وهذا أمر غريب وبيعت على الحيرة والتساؤل، إذا ما تقبلنا فرضية أن الأحداث التي يرويها السفر وقعت هناك؟ وسوف نبدأ من موضع دوق - رقم 41- الذي دُفن فيه سمعان قائد جيش يهوذا المكابي وشقيقه، حسب قول النص، وكذلك من موضع سلامة - رقم 23- الذي دارت فيه إحدى أهم المعارك. إن شمال فلسطين المُدعى أنه كان موطن مملكة يهوذا، لا يعرف ولم يسمع سكانه قديماً - بالطبع - باسمي هذين المكانين. وإذا كان ثمة ما يؤكد وجود مدفن لملكٍ إسرائيلي مزعوم، فإن لمن المنطقي أن تظل الأرض هناك، محتفظة عنه ببقايا ذكريات من نوع ما، أو حتى مرويات شعبية تحتفظ باسم صاحب القبر؟ لكن شيئاً من هذا كله لا يبدو موجوداً إلى النهاية، لأن موضع دوق ليس هناك البتة. يصف الهمداني موضع **دوق وكفر سلامة**، ويحدّهما على النحو التالي (304-303) :

(محجة صنعاء إلى مكة إلى طريق تهامة : من صنعاء صليت من البون، ثم الموبد ثم عثر ثم- وادي - بيض ثم حلي ثم الجو ثم دوقه ، وهي للعبيد من بقايا جرهم. هذه طريق الساحل والمحجة القديمة ترتفع إلى حلي العليا)

ها هنا وادي دوقه- دوق على الطريق الساحلي لجنوب غرب الجزيرة العربية قرب وادي بيض- بيض ، تماماً كما في السفر التوراتي . وللتأكيد على أنّ القدماء من الجغرافيين العرب كانوا يعرفون هذا الوادي بوصفه مكاناً يمينياً ، نورد - هنا- شهادة ياقوت الحموي التالية (ياقوت : 2 : 551):

(دوقه: بأرض اليمن لغامد. واد على طريق الحاج من صنعاء لمن سلخوا تهامة . قال زهير الغامدي :

أعادلُ منا المُصلتون خلالهم

كأننا وإياهم بدوقة لآعب)

أمّا كفر سلامة التي التقى فيها جيشا نكانور الروماني ويهوذه المكابي، فهي ذاتها قرية سلامة التي حددها الهمداني في قبلة الطائف شرقاً؛ قائلاً "عنها- وفي إطار الاعتقاد السائد في عصره - أنها) موضع تبقى منه حائط كبير لا يُعرف صاحبه وهو من أبنية العباسيين). ولذلك أطلق عليه العامة من الناس اسم حائط أم المقتدر؛ وهذا مفهوم تماماً، فالعامة في كل مكان وعصر، يُسمّون أسماء المواضع التي يجهلون تاريخها بأسماء لا تزال حاضرة في ذاكراتهم الجمعية. هاكم ما يقوله الهمداني عن بقايا قرية سلامة في عصره (232-233) :

(ثم بلد حرام من كنانة وهو وادي أئمة وحلي وحلي العليا
والسرّين ساحل كنانة والليث ومركوب واديان فيهما عيون ،
وطيبة وملكان. ومن قبلة الطائف أيضاً وإِ يقال له مشريق لبني
أمية من قريش ووادي جلدان. وفي قبلة الطائف حائط أم المقتدر
الذي يُدعى سلامة)

قال امرؤ القيس (صفة : 344) ذاكراً قرية- كفر سلامة- القديمة :

عفا شطب من أهله فعزورُ

فموبولة إن الديار تدور

فجزع مُحياة كأن لم تُقم به

سلامة حولاً كاملاً وقدورُ

إن وجود أثر قي مكان ساحلي قديم لا يُعرف صاحبه أو لمن يجب نسبه، وفي الامتداد نفسه و يُدعى سلامة، كما انه على مقربة من موضع عزور- يعزور التي تغنى بها امرؤ القيس، وحيث دارت معركة ضارية مع الرومان؛ أمر يتوافق بكل تأكيد، مع تصوراتنا القائلة أن الحروب الرومانية ضد بلاد اليهودية جرت ساحل البحر الأحمر ، وهي استهدفت كما نرى، إخضاع القبائل المتمردة هناك وليس إخضاع فلسطين. وما يؤكد ذلك أن النص التوراتي يتحدث عن جماعة يسميها الزبيديون شاركت في المعارك الدائرة. ولا وجود بكل يقين لمثل هذا الاسم في الساحل الفلسطيني. ومع ذلك تزعم القراءة الإستشراقية أن هؤلاء هم أنفسهم (الذين يعيشون في سهل الزبداني). وهذا غير معقول ؟ لأن الزبداني السوري مكان بعيد للغاية عن الساحل الفلسطيني؛ بينما نرى أن المنطق الجغرافي يقول: إن هذه الجماعة تقيم في ساحل زبيد في الامتداد نفسه لساحل الطائف وساحل عثر. والزبيديون اسم نسبة من زبيد اليمنية وليس من الزبداني السوري . وفضلاً" عن هذا كله،

يشير سفر المكابيين إلى موضع يدعى ألماس . والمقصود به موضع الماس الذي وصفه الهمداني (صفة : 365) بقوله :

(الماس أكمة سوداء من بلد الهُجن من أرحب)

وفي هذا الإطار؛ فإن لوجود موضع يدعى الماس ضمن مقاطعة أرحب التي اشتهرت بعنتاتها (أشرارها ولصوصها ومقاتليها الأشداء) أمر له أهمية قصوى في سياق البرهنة على زيف المطابقة الاستثنائية. يقول السفر التوراتي ما يلي: أن يهوذه المكابي وفي طريقه لمحاربة الرومان، ضرب جماعة من قطاع الطرق واللصوص يُعرفون بأنهم من بني بئين، وهؤلاء حسب وصف الهمداني هم سكان وادي ذي بين الذي تصبّ مياهه في بلد صيد-صيदा، بينما كان الرومان يهاجمون في هذه الأثناء، موضع يدعى صيدا- صيده .

وقد تخيل التوراتيون هذا الهجوم على انه هجوم روماني موجه صوب صيدا اللبنانية ، وهذا غير معقول جغرافياً، إذ كيف يمكن من الناحية الجغرافية- العسكرية، جمع سهل الزبداني السوري بساحل صيدا اللبناني، وهذان بساحل فلسطين؟

هاكم وصف الهمداني للمكانين (صفة : 159) ولتتمعنوا النظر في اللغز الجغرافي :

(أودية من ظاهر همدان مثل : ذي بئين وما يسقيهما من ظاهر - بلد- الصيد وما يسقط إليه من مدر وإتوة والخشب)
 (المحقق: الخشب : قبيل ووطن مشهور وهم من عُنَاة أرحب).

ولنلاحظ وصف محقق الهمداني العلامة الأكوخ، لسكان هذا الوادي بأنهم " عُنَاة أرحب" أي الرجال الذين يتصفون بالبأس والشدة في بلد أرحب حيث توجد الماس- انظر الماس أعلاه-؛ كما توجد صيدا- صيده التي دارت فيها المعارك.

أما موضع **حيلم- حلم** في القائمة، فيمكن رؤيته كما هو اليوم باسمه وفي الفضاء الجغرافي لمعركة قدس- قدش المعافر تماماً، ففي دراسة أثرية للمواقع القديمة في منطقتي (قدس-سامع) من المعافر²⁴ تبين أن أعمال المسح الأثري في موقع يدعى (حيلم- حيلم) قد كشفت عن العديد من المواقع الأثرية تعود إلى مراحل وفترات زمنية مختلفة، وتضمنت تلك المواقع بمختلف مكوناتها وأشكالها على العديد من المعالم والشواهد الأثرية والتاريخية التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، وبشكل أكبر لفترة العصر البرونزي، حيث تواجد معظمها على سفوح الجبال المنحدرة، والقيعان المطلية على ضفاف الأودية ذات الينابيع الجارية والنباتات الطبيعية، وقد احتوت معظم المستوطنات على بقايا أساسات لمنشآت سكنية دائرية وبيضاوية ومربعة، بعضها مستقلة (فردية) كما هو الحال في **موقع حيلم والهجمة، الحنن، وقحفة الصرم في منطقة قدس وموقع حرور بمنطقة سامع. ها هنا موضع حيلم-حيلم** (بتقديم وتأخير الياء وهي ظاهرة معروفة في العربية تسمى ظاهرة القلب اللغوي)

²⁴: بشير عبد الرقيب سعيد حميد -جامعة صنعاء -قسم الآثار 2009

أكذوبة " يهوذا والسامرة "

وإذا ما قمنا بإعادة رواية حروب يهوذا المكابي في الإطار التاريخي- الجغرافي المقترح؛ فإن لغز هذه الحروب سوف يكون قابلاً للتفكيك بسهولة. كان أبولونيوس والياً رومانيا على إقليم السمرا. وقد هيا جيشاً عظيماً لتأديب القبائل المتمردة في بلاد اليهودية، ومن بينها بقايا قبيلة " بني إسرائيل ". ومع تواتر الأنباء عن استعدادات الرومان العسكرية لغزو بلاد اليهودية، تناهت إلى أسمع يهوذا المكابي، أنباء تحركات رومانية في نجد وفي اليمامة، وبأن الرومان جهزوا جيشاً قوياً لمحاربته في قلب العاصمة الدينية أورشليم. ولذا بادر إلى ملاقاتهم في الصحراء، ولنشَبَ إثر ذلك معركة كبرى، حققَ فيها يهوذا أول انتصار لامع على الرومان، إذ تمكن من سلب سيف أبولونيوس نفسه. كان لهذا الانتصار وقع خاص على أسمع قائد سورية الروماني سارون الذي فكر في اغتنام الفرصة، والقيام بهجوم مباغت للانتقام من يهوذا المكابي. وهكذا جهز جيشاً من الحاميات السورية وصعد لمهاجمته في البادية، قبل أن يتوغل في قلب الجزيرة العربية، ثم يزحف نحو المناطق الواقعة في الجنوب الغربي، حيث نشبت معركة أخرى ضارية على ضفاف وادي حورون- حوران . هاتان المعركتان شرّعتا الأبواب أمام سلسلة من الصدامات في نجد والبادية العربية وسواحل البحر الأحمر، استعان فيها الرومان بالجيش الروماني المتمركز في بلاد الشام، وبالمرتزقة من القبائل البدوية المنافسة والوثنية الكارهة للقبائل اليهودية العربية (ذات الأصول القحطانية- اليمنية).

ثم كانت هناك الحملة الثالثة الكبرى بقيادة جورجياس، وهي الحملة التي بلغت جبال الأعماس (عمواس) حيث التحقت به جماعات إسناد من أرض أدوم. وكما يلاحظ من هذا السرد؛ فإن سفر المكابيين لا يشير قط - في هذا المقطع من المعارك- إلى وجود تهديد عسكري لأورشليم أو أن يطلق عليها اسم القدس، وهو أمر لافت للانتباه؛ فلو أن الرومان كانوا يريدون من هذه المعارك الاستيلاء على أورشليم وهم حكام سورية الجنوبية، فمن غير المنطقي أن يجهزوا كل هذه الجيوش لترسل إلى البادية؟ إن فلسطين التاريخية، إذا ما قبلنا فرضية أن الحروب دارت في المسرح الفلسطيني، تعرف بكل تأكيد موضع عمّ أوس - عمواس هذا . وقد وجد الجغرافيون المسلمون (ياقوت -مثلاً") أن عمّ أوس - عمواس، هو من المواضع القريبة من الرملة على الطريق إلى القدس العربية. بيد أن وجود مثل هذا الاسم، ليس دليلاً كافياً بحدّ ذاته، للبرهنة على أن المقصود منه المكان نفسه الذي عناه السفر، لسبب بسيط للغاية هو أن هذا الاسم موجود بمعزلٍ عن أية أسماء أخرى وردت في النص. وعلى سبيل المثال ليس هناك إلى جواره أرض تُدعى أدوم، كما انه لا يؤدي إلى أي مكان آخر من الأمكنة التي وصفها السفر. إن الرسم العبري الصحيح للاسم ليس عمواس - كما في الرسم العربي من الترجمة السائدة للتوراة- بل الأعماس أو عُماس، وهو سلسلة جبلية صغيرة تتجمع في أسفلها المياه القادمة من قرية السدة- عسدد وعلى مقربة تماماً من جبل أدم، أي بالضبط قرب سائر الأماكن التي يصفها السفر التوراتي، ويشير إلى أنها كانت مسرحاً للقتال مع الرومان. هاكم التوصيف الدقيق من الهمداني ومحققه لجبال الأعماس- وهذا هو الضبط الصحيح. يقول الهمداني (صفة : 197) في وصف مخلاف السحول الممتد من عقبة الذهوب في مدينة إب جنوباً وإلى البادية شمالاً (وقد تحول أسم هذا المخلاف تالياً إلى أسم مخلاف الكلاع حيث يشتهر سكانه بزيادة النون في نطق الأسماء) ما يلي :

(مخلاف السحول : والمساكل من هذا المخلاف جبل بَعْدان وجبل آدم ، وسلية وأرياب الذي مدحه الأعشى)

ويضيف الهمداني ومحققه (صفة : 146- وانظر الهامش) ما يلي :

وادي أبين وهو مما يلي لحج ومآتية من شراد وبنا ،
أرض رُعين (المحقق: وادي بنا له فرعان، يشكل
سيلاً عظيماً من الروافد التي تمدّه وتسمّى باسم
خاص. وتلتقي مع سيل الدلاني في أعلى قرية السدة
ويرفدها ما جاء من سائلة حورة التي تتألف من
جبال الأعماس .)

في هذين المقتطفين الرائعين، لدينا سلسلة جبال صغيرة في مخلاف السحول تُدعى الأعماس، ترتبط بجبل آدم في وحدة جغرافية متكاملة؛ وهذا ما يجعل من رواية سفر المكابيين عن المعارك ضد الرومان، قابلة تلقائياً لأن توضع في موضعها الصحيح من التاريخ اليمني، بينما يستحيل وضعها في التاريخ الفلسطيني القديم. ولذلك؛ فإن وجود أسم واحد مُشابه للأسم التوراتي، لا يمكن أن يكون دليلاً قاطعاً. وفي الواقع، من المحتمل أن الاسم الأعماس - عمواس (عم - أوس) أو عموس، انتقل مع القبائل المهاجرة- في الأصل من اليمن- إلى فلسطين في السياق ذاته، لانتقال سلسلة من أسماء المواضع اليمنية إلى بلاد الشام القديمة، وذلك مع بدء الهجرات الكبرى والانزياح المُتتالي للقبائل العربية- اليمنية عن أوطانها بفعل جملة من الأسباب التاريخية. كانت أوامر الملك الروماني لسياس، واضحة وصريحة بعد هزائم قادته في البادية العربية: السير نحو قلب القبائل العربية اليهودية وتدميره، أيّ الزحف صوب أورشليم اليبوسة- اليمنية القديمة. وكنا أشرنا إلى أن بيت بوس اليمنية هي أورشليم التوراة. وبكل تأكيد؛ فإن قاصد بيت بوس اليمنية من مخلاف خولان وأرض أدوم، سوف يبلغها بسهولة، في حين أن من المستحيل العثور على الأعماس أو عمواس في أرض أدوم من أجل الوصول إلى القدس الفلسطينية؟ ولنتذكر هنا أن هدف الحملة المباشر، هو القضاء على القبائل المتمردة في عقر دارها، ومهاجمة مراكزها الدينية. وفي هذا الوقت كانت روما وثنية، بينما كانت القبائل العربية اليهودية في اليمن والجزيرة العربية تدين بدين جديد وتوحيدي. لقد كانت أورشليم هي الهدف الذي سعى إليه الأشوريون في حملاتهم العسكرية من قبل، وها هي تصبح من جديد مع الرومان هدفاً من بين أهداف كبرى في صراع ديني- سياسي؟

وهذا مغزى قول السفر: أن القوات الرومانية وصلت إلى أدوم ثم خيّمَت في بيت صور في طريقها إلى أورشليم . فهل هناك أدوم وصور في الطريق إلى القدس؟ وهل يصبح أمراً منطقياً- في هذه الحالة- أن لا نتقبل بأي صورة من الصور فكرة أن أورشليم هي القدس؟ إذا ما افترضنا أن الأحداث وقعت في فلسطين، فكيف يمكن التوفيق بين إشارات ومقاصد الجملة الأتفة : إذ كيف يصلون إلى أدوم في فلسطين ثم يعسكرون في صور اللبنانية ، إذا ما كان هدفهم تدمير أورشليم (المزعم أنها القدس العربية) ؟

معركة كفر سلامة والطريق إلى حصار أورشليم الرومانية

في أعقاب معركة كفر سلامة قرب الطائف نحو العام 160 ق . م ، وبعد هزيمة الحملة الرومانية بقيادة نكانور ، جرت ملاحقة فلول الرومانيين حتى جزر قرب ردمان اليمينية، ومشارف وادي حوران (وليس حوران السورية). وفي هذه المعركة قُطع رأس نكانور نفسه وأُخذت أسلابه. ومع ذلك وبالرغم من هذه الأحداث، بادر يهوذا المكابي إلى الاتصال بالرومان، وأرسل موفدين منه إلى روما هما أولميس بن يوحنا، وياسون بن أليعزر، بهدف إقناعها بجدوى التحالف مع القبائل اليهودية العربية. وأكثر من ذلك، طرح الموفدان إمكانية أن تقوم مشيخة- مخالف بلاد اليهودية في اليمن، بدور عسكري في حروب روما. بيد أن الآمال بعقد هذا الحلف سرعان ما تبددت مع أول حملة للملك الروماني في نجد اليمن لبسط النفوذ الروماني على وادي الجليل. وعندما زحفت الجيوش الرومانية للاستيلاء أولاً على جبال الزيت -زيتيم، نشبت معركة ضارية كان مسرحها يبدأ في بئر- بئروت، وينتهي في وادي حصور- حضور . وفي هذه السلسلة من المعارك الدامية سقط يهوذا المكابي قتيلاً. لكن، بعد مقتله أصبح شقيقه يوناتان ملكاً على بلاد اليهودية. يقول النص التوراتي: إن يوناتان قرّر الانتقام لدم أخيه يوحنا الذي قتله بنو يمرء في حوران، عندما أرسل لطلب العون من القبائل في مواجهة القوات الرومانية، وأنه في سياق هذا الانتقام، ضربهم بقسوة في أنيطه- أنيطه. وبذلك أصبحت مهمته المباشرة ذات طبيعة مزدوجة : إخضاع القبائل التي لا تعترف بسلطته، ومواجهة التحديّات الرومانية. ولذلك وفر تنفيذ عملية انتقام مدبرة قام بها ضد بني يمرء، حيث تمكن من الإيقاع بهم في كمين محكم أثناء عرس في أنيطه، تفرغ لتحصين مواضعه في تمنية- منيه وفرعتون- فرعة وثقون - ثفن وسواها . والهمداني يصف هذه المواضع في نصه بصورة دقيقة للغاية. هاكم ما يقوله عن موطن بني يمرء- المرء وأودية ثفن، وفرعة - فرعتون (صفة : 264) :

ومَنْ أخذ طريق وادي الثفن من الفلج إلى
اليمامة ، أخذ أسافل أودية جعدة . والثفن وادٍ
رَّغاب كثير النخل كثير الحصون فإنَّ أحبَّ
شرب- من وادي - دلاميس ، وإنَّ أحبَّ شرب
- من وادي- المرء ومن قبلة الفلج فرع
وادي أكمة ثم الفرعة .

ولنلاحظ التناظر بين النصوص؛ فالنص التوراتي يتحدث عن حصون أقامها يوناتان في ثفن- ثفن وفرعتون- فرعة؛ بينما يتحدث نص الهمداني عن حصون كثيرة في هذين الواديين.

حصار أورشليم وتهديم المعبد (بيت الرب)

في العام 159 ق.م. حاصر الرومان أورشليم مرة أخرى إثر حملة قادها ضابط روماني كبير يُدعى بكيديس، كان قد عسكر خلال الحملة الجديدة في وادي بيبص- بيض على الساحل. لقد سعت القراءة الإستشراقية، عبثاً إلى مُطابقة أسم قرية بصا الفلسطينية الصغيرة قرب بيت لحم الفلسطينية، مع أسم وادي بيبص- بيض هذا. بيد أن سياق الأحداث يشير إلى وادٍ كبير، أقام فيه الجيش الروماني معسكره وليس إلى قرية صغيرة، بعيدة كل البعد عن القدس العربية. إن وادي بيبص هذا ليس سوى وادي بيبص (بيبص- بيصي في العبرية تعني : بيض). والدليل على ذلك أن الرواية التوراتية تقول ما يلي : إن الحملة الرومانية تراجعت نحو موضع يُدعى مكماس بعد فشل الضابط الروماني بكيديس في مهمته الحربية. وبالطبع ليس ثمة من موضع يُدعى مكماس على الطريق إلى وادي بيبص سوى موضع الكامس الشهير في الشعر العربي . يرسم الاسم في العبرية في صورة كر- كميث. وكلمة (كر) العبرية تعني (مرج) أي مرج كامس. ومع حلول العام 147 ق.م، جهز الرومان حملة أخرى بقيادة أبولنيوس لتأديب القبائل المتمردة (أبولنيوس هذا هو ابن والي السامرة الذي قهره يهوذا المكابي وهو يحمل اسم والده) وقد عسكر بقواته في منطقة جديدة تسمى في النص العبري يمينيه - منيه . وهذا الموضع يُرسم في الطبعة العربية من التوراة خطأ في صورة يمينيا في بداية هذه الحقبة من الحروب وخلال إحدى المعارك الدامية، سقطت يفو- يفا في يد يوناتان (تُرسم يفو خطأ في الطبعة العربية في صورة : يفا كجزء من التضليل والإيحاء بأن الأحداث تدور في فلسطين فيما المقصود منها يفا). وفي وقت لاحق، ومع صعود أنطيوخوس السادس 145-142 ق.م ، والمعروف باسم : انطيوخوس الصغير، جرت أول محاولة جدية لعقد معاهدة صلح، تُمنح القبائل المتمردة بموجبه، حق السيادة على ثلاثة أو أربعة مواضع هي (ء فرمة، لدة - لذة - وهذه جرى تخيلها على أنها اللد الفلسطينية، ثم رمنتيم، وربما أضيفت إليها في وقت لاحق ء قربتن كما ترى القراءة الإستشراقية من دون إسناد أو دليل، بينما نرى أنها يُفاء التي سقطت في يد يوناتان) . إن فلسطين التاريخية لا تعرف أيّ موضع من هذه المواضع، كما أن علماء الآثار لم يجدوا أي أثر دال على وجود أماكن ومواقع بهذه الأسماء في فلسطين، بينما يعطينا الهمداني الأسماء ذاتها وفي الفضاء الجغرافي ذاته. بيد أن محاولة التوصل إلى معاهدة صلح حقيقية، سرعان ما تعرضت للفشل، مع تعاظم مخاوف الرومان من نفوذ يوناتان بين سائرا لقبائل العربية في النجد. ولذلك جهزوا حملة أخرى لإلحاق الهزيمة به . لكن، واستعداداً لهذه التطورات، أقام يوناتان مخيماته قرب وادي خناصر (جناسر في الطبعة العربية) قبل أن يتجه إلى وادي حصور- حضور . ووادي خناصر هذا هو مسيل مياه على مقربة من مخلاف حضور ، تماماً كما في وصف السفر. اليكم هذه المقاربة بين النصين :

سفر المكابيين : (النص العربي : 11 : 64 الهمداني (صفة : 209-210)

: 12 : 11 لتسهيل عودة القراء إليه)

وخيّم يوناتان مع جيشه عند مياه خناصر . والأحصّ وهو منهل الظّهار- ثم -
وصلوا فجرأ إلى أسافل حضور مناهل لعسان ذو حضور،

فسافلة حضور

ثم إلى حضور

تكشف هذه المقاربة عن الحقيقة المذهلة التالية : إن المعركة التي خاضها يوناتان - يونتن ضد القوات الرومانية، وقعت إلى الغرب من صنعاء، وليس في فلسطين؛ التي لا تعرف أيّ موضع أو مسيل مياه- مناهل مياه- يُدعى مياه خناصر، ولا مسقط مياه يمكن تسميته أسفل حضور- حضور. وهذا هو اسم الوادي الذي تسجله التوراة في نصوص متفرقة كما تعيد التذكير فيه في سفر المكابيين. وبالطبع، فليس من المنطق في شيء القول أن وجود الاسم نفسه وبصفته هذه هو مجرد توافق لغوي أو جغرافي محض.

وفي هذه المعركة- وبحسب النص العبري- زحف يوناتان برجاله على القوات الرومانية وكسرها، ثم طارد العدو إلى قدش. إن أحداً لا يعرف قدس هذه قرب مياه خناصر وأسفل حضور في فلسطين؛ بينما يمكن ببساطة تصوّر مسرح القتال الذي يبدأ من غرب صنعاء حتى جنوب تعز، حيث جبل قدس وأسفل وادي حضور ووادي خناصر . وفي أعقاب هذا الصدام الدامي، قرّر يوناتان في إطار الإستراتيجية التقليدية ذاتها والتي لطالما أتبعها القبائل على اختلاف دياناتها وظروفها، إرسال موفدين إلى روما من أجل إبرام وتجديد الاتفاقات المعقودة بين القبائل العربية والإمبراطورية. عنى هذا، من وجهة نظر سياسية، أن القبائل المتمردة على الرومان كانت لا تزال، حتى في ظروف الحرب، مستعدة لانتهاج خط سلمي إذا ما تمت الاستجابة إلى بعض مطالبها. وهذه هي الإستراتيجية التقليدية التي تنتهجها معظم القبائل مع القوى الكبرى؛ فهي مستعدة للمضي معها شوطاً أبعد، سلباً أو حرباً، ولكن في سياق الاحتكام إلى مستوى الاستجابة لمتطلباتها ومصالحها وميولها الاستقلالية. في النهاية وبعد سلسلة من الحروب والمعارك مع الرومان، وقع يوناتان- يونتن في قبضة القوات الرومانية في معركة وادي بيسان- بشيان نتيجة لخدعة دبرها تريفون القائد الروماني الطموح؛ ولتبدأ منذئذ، حقبة جديدة يصح فيها شقيقه سمعان قائداً وحيداً من غير منافس، ثم -تالياً- ملكاً وكبيراً للكهنة في بلاد اليهودية في سرو حمير. وبين أعوام 143-134 ق.م، وقبيل صعود سمعان إلى العرش بقليل، عادت القوات الرومانية بقيادة تريفون إلى سياسة الحملات الحربية المتواصلة، لإرغام خليفة الملك الأسير على إظهار مزيد من الخضوع لمشينة الإمبراطورية. ولكن؛ ولمواجهة هذا الوضع وربما تحديه بصورة مباشرة وفورية، أتجه سمعان بقواته في شتاء عام 143 ق.م إلى حديد- حديد في العبرية (وهي اليوم الحديدية في شمال اليمن) وهي منطقة تقطنها قبائل عربية من بني حديد- وهذه غير حدد في اليمامة التي سبق الكلام عنها؛ بينما كان تريفون يستدير بقواته من ء دوره ليمضي في سكمه- سقمه، بسبب كثافة الثلوج التي تساقطت على الطرق الجبلية. وفي هذه المواجهة القاسية بين المتحاربين، قُتل الملك الأسير يوناتان - يونتن الذي جيء به إلى مسرح الحرب بقصد المساومة. وبعد مفاوضات معقدة، تمكن شقيقه سمعان من الحصول على جثة شقيقه وعلى حق دفنه في مسقط رأس الأسرة في ميدان موطن آبائه. إن فلسطين التاريخية لا تعرف أيّ موضع من المواضع الأنفة؛ فليس ثمة طريق جبلي تتساقط فيه الثلوج بكثافة في الشتاء، يُدعى حديد أو سكمه- سقمه أو سقم، كما لا توجد مدان.

ويصف لنا الهمداني- وعلى العكس من كل مزاعم التوراتيين والاستشراقيين- سائر هذه المواضع على الطرق الجبلية من جرش اليمن. ولنتذكر في هذا السياق أبيات امرؤ القيس عن جبل أبان عند وادي الرّمة- رمثيم الذي تغطيه الثلوج- أنظر ما كتبناه عن أبان:-

كأنَّ أباناً في تفانين وبله

كبير أناس في بجادٍ مُزَّمَلٍ

وهذا وصف رائع ونادر للتلوج وهي تسقط فوق قمة جبل أبان عند وادي الرمة، علماً أنه يُدعى أبان الأبيض لكثافة الثلوج التي تغطيه، بحيث يبدو مثل رجل كهل مهيب يتدثر بثوب بدوي مخطط هو البجاد (وفي العبرية بجاد بالمعنى نفسه). يقول الهمداني في وصف مواضع القبائل القاطنة بين نجران والجوف إلى جرّش (صفة : 231-237) :

(غرب ، والحضارة ، والعشتان ، والبردان ،
والبردان بئر بتبالة وبالعرض من نجران ،
وسقم ، والذي يسكن هذه البلاد من قبائل نهد ،
وحرام. وأول الأودية بين نجران والجوف قضيب
واليتمة - ثم - جُرّش: وهي كورة نجد العليا من
ديار عنس من أشراف حمير. وجُرّش في قاع
ولها أشراف غربية بعيدة تنحدر منها مياهها.
والدّارة والفتيحا وطبب هذه أودية عسير. والذي
يُصالي جنب من ديار عنز الرفيد والغوص
وتمنيّة والغوص يسكنه بنو حديد وتمنيّة يسكنها
بنو مالك والدّارة والفتيحا وتسمّى هذه أرض
طود)

ها هنا وفي جبال نجران التي تمتد وصولاً إلى جُرّش، المواضع ذاتها الواردة في نص السفر وهي على التوالي: سقم - سقمه التي أتجه صوبها الجيش الروماني بعدما حاصرته الثلوج ، والدّارة - ءدورة التي سار إليها من النجد - انظر ء دوره في القائمة. - وها هنا منازل القبيلة العربية بنو حديد - حديد، تماماً كما في النص التوراتي. فضلاً عن ذلك، هناك المواضع ذاتها الواردة في السفر (أنظر القائمة) مثل تمنية والغوص (الغياض كما في الترجمة العربية) واليتمة - دي تمه (أو ذو تمه وهذا تركيب لغوي يمّني خالص). وإذا ما سار المرء على خطى الرومان بين هذه السلسلة من الوديان والجبال ومسائل المياه متجهاً صوب الطائف؛ فإتته سوف يصل إلى البحر، تماماً كما في وصف السفر لسير العمليات العسكرية. وبالطبع، فلن تقوده خطاه في إثرهم إلى فلسطين، مهما فعل وتمنى. ثم يختم السفر روايته للحملات الرومانية على بلاد اليهودية القديمة بقصة مصرع سمعان ودفنه في دوقه - دوق.

أين ظهرت مملكة " بلاد اليهودية القديمة " ؟

إذا ما عُدنا إلى بعض المواضع الواردة في السفر، ومنها الموضع الذي قيل أن القبائل فيه، كانت مستعدة لمساعدة يهوذا المكابي في حربه ضد الرومان، أي إلى **طبت- ظبوة**؛ فسوف نراها في المكان ذاته لسائر الأماكن الواردة في النص التوراتي . يقول الهمداني عن ظبوة (صفة : 155-156) :

(في وصف الجوف اليمني : ومساقى الخارد من فروع
مختلفة فأولها من مخلاف خولان في شرقي صنعاء
فيصب إليه غيمان وما أقبل من ظبوة . وما أقبل من عدّ
ورد ومن أشراف نقييل السود فبيت بوس)

وكنّا رأينا أن المقصود من أورشليم التوراة (بيت بوس) . ها هنا القبائل القاطنة قرب
بيت بوس في وادي ظبوة- العبرية تستعويض عن الظاد بالطاء-. أما كشفر- كشور- في
العبرية الحديثة يُلفظ الواو فاء ، فليست سوى وادي كشور اليمني نفسه . (صفة : 162-
: (163

(ثم وادي نجران وفروعه من ثلاثة مواضع من خولان ومن
بلد شاكر والحناجر. ويلقاها سيل عكوان من شرقي دماج
فيضم إلى العشة ثم يلقاها وادي كشور فسيل جدره)

هذه هي أحداث سفر المكابيين التي جرى تخيلها في فلسطين على الرغم من انعدام أي
عنصر تاريخي موثوق به- في القراءة الاستشراقية للرواية التوراتية؛ يمكن أن يدعم أو
يؤيد، بأي صورة من الصور، وجود المواضع المذكورة هناك. وعلى العكس من ذلك،
ثمة كل ما يلزم من العناصر التاريخية والثقافية التي تؤيد وبقوة، نظريتنا عن وقوع
الأحداث في اليمن القديم . إن إعادة بناء الرواية التاريخية التي سجلتها التوراة على أساس
جديد، يقطع مع التخييل الكولنيالي، سيكون ممكناً ومطلوباً في الآن ذاته، عندما نقرأ
الأحداث في سياق طموح الإمبراطورية الرومانية لبسط نفوذها على امتداد سواحل البحر
الأحمر.

بعد كل هذه الحروب المدمرة اندثرت بلاد اليهودية العتيقة من إيلياء (وعاصمتها الدينية القديمة أورشليم العربية- اليمينية وهي بيت ييوس) واختفت من مسرح التاريخ. لقد أرغمت هذه الحروب المتواصلة، القبائل العربية العاربة على الهجرة نحو حاضرة الإمبراطورية الرومانية آنذاك: بلاد الشام. والتاريخ المقبول من وجهة نظرنا، لبداية تدفق القبائل العربية العاربة بما فيها بقايا قبيلة بني إسرائيل من يهود اليمن وسواحل البحر الأحمر وتهامة ونجد اليمن واليمامة، نحو جنوب الشام (فلسطين) يجب أن يكون في حدود 130 ق.م. وليس قبل ذلك، لأن المعارك كانت لا تزال مستمرة وبقوة زخم مدهشة حتى هذا الوقت، بين القبائل العربية اليهودية بقيادة يهوذا المكابي، والقوات الرومانية الغازية. وفي حدود هذا التاريخ كانت أورشليم عاصمة بلاد اليهودية الدينية في سرو حمير، ولم يكن اسمها القدس قط. وابتداءً من هذا التاريخ أو بعده بقليل، تدفقت وعلى شكل موجات متعاقبة، وتحت ضغط الحروب والحملات العسكرية المدمرة؛ جماعات وقبائل وشعوب منهكة، تقلصت والى حد بعيد إمكاناتها القتالية و الحربية وتقلصت قدرتها على مواصلة التمرد، لتستقرّ في بلاد الشام والعراق وسواها من البلدان، ثم لتترك هناك ذكرياتها في صورة أسماء قديمة للمواقع التي تركتها مرغمة. وبالتلازم مع هذه الهجرات الكبيرة، ظهرت في فلسطين أولى التجمعات السكنية للقبائل اليهودية اليمينية، أي أن القبائل هاجرت في النهاية، إلى " حواضر" الإمبراطورية الرومانية، خصمها اللدود الذي حاربته وتصالحت معه مراراً وتكراراً". إن رواية ابن العبري المُقتضبة للغاية، لهذه الأحداث (تاريخ مختصر الدول: ط، بيروت- بدون تاريخ نشر) ولكن الموازية مع ذلك، تنبني في جزء منها على مصادر عدّة من بينها الرواية التوراتية الواردة في سفر المكابيين. ولذا يمكنها أن تقدم دعماً للاتجاه الذي تسير فيه نظريتنا عن المسرح الحقيقي لهذه الحروب في اليمامة ونجد اليمن.

ولد ابن العبري في العام 1226م ، وعاصر الأحداث الدامية في بغداد، وفاوض - بنفسه- هولاًكو بعد سقوط بغداد عام 1258م، من أجل الإبقاء على حياة رعايا الكنيسة في أنطاكية. يقول ابن العبري في كتابه ما يلي : إن بطليموس أفيانوس و بعد الانتصار في مصر، جهز حملتين حربيتين سارتا نحو بلاد الشام و " بلاد اليهودية " لإخضاعهما . ويضيف (تاريخ : - مصدر مذكور 61) ما يلي :

وملك بعده انطيوخوس أوفاطور، سنتين ، واضطهد اليهود اضطهاداً شديداً. وولي أمر اليهود يهوذا المقبي، وجمع بين الملك والكهنوت، ونفى نواب أنطيوخوس من " أرض يهوذا " وصار اليهود يحاربون ملوك الروم .

يشير هذا النص إلى اسم يهوذا المكابي في صورة يهوذا المقيبي الذي جمع بين كونه كاهناً أعلى وملكاً، كما يشير إلى قيامه بطرد نواب الإمبراطورية (في اليمامة ونجد اليمن وما يُسمى إقليم السمرا وبقاء ورمثيم وسواها) .والاهم منذ ل كان ابن العبري يشير إلى حملتين، سارت أحدهما إلى بلاد اليهودية والأخرى إلى بلاد الشام. وهذا يعني أن ابن العبري يميز تمييزاً جغرافياً دقيقاً وصحيحاً بين بلاد الشام وبلاد اليهودية. إن إقليم " بلاد " السمرا الذي قُرى في صورة السامرة لا يقع في شمال فلسطين وذلك طبقاً للرواية التوراتية؛ بل في شمال اليمن حيث دارت المعارك ضد الولاة الرومان في قلبه، وفي أطرافه عند موضع الغرابات- عربات في التوراة . وبالطبع؛ فإن السامرة (الضفة الغربية من فلسطين) لا تعرف هذا الاسم، بينما نجد إقليم السمرا العربي - اليمني، وهو يضم الغرابات وديار هوذة نفسه ؟

هاكم ما يقوله الهمداني (صفة : 252-253) :

ثم تقطع بطن قوّ، ثم السمراء وهو أرض سهب ، ثم تأخذ في الدهناء وهي هناك مسيرة يومين. ومن عن يمين ذلك العرّابات ثم تسير في السهباء ثم تقطعُ جبيلاً قريباً له ثم الروضة ودار عجل وديار هوذة - بن علي السُحيمي الحنفي- وهي أول اليمامة. ثم من أسفل ذلك القُرى من اليمامة والقنع، وهذه اليمامة حصون متفرقة ونخل ورياض.

هذا هو إقليم - بلاد- السمرا في الفضاء الجغرافي ذاته للمعارك التي وصفها السفر، وها هنا اليمامة التي دارت فيها الحروب ضد الرومان، وها هنا ديار الحنفيين (الموحدين الأوائل في الجزيرة العربية) الذين تسمّى آخر ملوكهم باسم يهوذة، تيمناً باسم الملك العربي اليهودي الذي قاتل الرومان يهوذة المكابي. لأجل ذلك كله، يتعين-اليوم- أن نشطب من التاريخ الفلسطيني عسراً بأكمله نُسب إلى فلسطين خطأ؛ بل وأن نشطب كل ما له صلة بحروب يهوذة المكابي من تاريخ بني إسرائيل في فلسطين الخيالية، وأن نعيد وضعه بكل أمانة ضمن تاريخ اليمن والجزيرة العربية لكل ذلك أيضاً، فالقدس العربية- الإسلامية هي قدسنا، ليست ولم تكن أوشليم التوراة.

بيت بوس واكتشاف اورشليم

من بين أكثر الأوهام الشائعة في التاريخ الفلسطيني، أن القدس هي اورشليم²⁵، وأنها دعيت باسم (بيت بوس) وأن سكانها القدامى كانوا (ييوسيين) و (كنعانيين). ويستند أصحاب هذا الزعم الرائج- دون دليل واحد- على ما أشاعه المستشرقون وبعض علماء الآثار من التيار التوراتي من أفكار خاطئة، مبنية لا على المكتشفات الأثرية، وإنما على مطابقة ما ورد في النص التوراتي مع جغرافية فلسطين. وهما، برأينا مكانان منفصلان، احدهما يدعى قدس وهو جبل، والثاني مدينة دينية جبلية جصينة تدعى اورشليم، ولا صلة جغرافية بين الجبل والمدينة. والصحيح بشكل قاطع بالنسبة لي، أن اورشليم المدينة - وليس القدس العربية الإسلامية- هي التي عُرفت باسم (بيت بوس). لقد تسنى لي مؤحراً القيام بجولة ميدانية في وديان وجبال اليمن، قادتني إلى بيت بوس لاكتشف هناك أسوار اورشليم المحطمة.

ولعل المكتشفات الأثرية الثمينة في اليمن، تدحض كلياً مثل هذه المزاعم، فلا اورشليم كانت تدعى القدس- أو العكس- ولا كان اسمها بيت بوس، ولا كان سكانها ييوسيين أو أنها كانت مدينة كنعانية- بالمعنى الاستشراقي-. لقد أدى استخدام اصطلاح الكنعانيين ضمن التاريخ الفلسطيني بطريقة اعتباطية إلى تمييع الجغرافيا، وتحويلها إلى جغرافيا أسطورية يستحيل الاستدلال إليها؟ فمن هم الكنعانيون سكان فلسطين القدامى، وما المقصود بهم؟ لقد هيمنت هذه النظرية الزائفة على السرد التاريخي الراهن، فما من كاتب أو دراس أو باحث إلا ويتحفنا بهذه المعلومات المضللة دون أدنى تدقيق، وثمة من يتطوع- من بين أساتذة التاريخ في الجامعات العربية وربما بعض علماء الآثار السطحيين- لتكرار هذه الأساطير بمناسبة أو دونها؟ وبوسعي اليوم، أن أقدم ما يكفي من النصوص العبرية والنقوش المسندية التي يرد فيها وصف بيت بوس، وجبل قدس في اليمن وموطن (ها- فلشتيم) في وادي المفاليس- الميم أداة تعريف- أي وادي الفلسطينيين، وهي مطابقة من حيث الوصف والأسماء والوقائع للنص التوراتي، وذلك لدحض المطابقة غير

²⁵: في المساهمة السابقة (القدس ليست اورشليم) الريس للنشر، بيروت 209 بيناً بوضوح أن القدس لم تُدع قط اورشليم في أي وقت من تاريخها

العلمية بين **جغرافية فلسطين وأرض التوراة**. والأمر المؤكد، بالنسبة لي، أن النظرية السائدة والقائلة أن **أورشليم القديمة** كانت تدعى **القدس**، أو أن **هذه كانت تدعى بيت بوس**، مبنية بالكامل على تلاعب مدروس ومنهجي قام به علماء آثار وباحثون ومستشرقون من التيار التوراتي. لقد نهب هؤلاء المنقبون والرحالة وعلماء الآثار- وعلى امتداد عقود من البحث الأثري والسطو اللصوصي الممنظم- كنوز اليمن التي لا تقدر بثمن، وجرى بقصد فاضح، إخفاء أي أثر لها. ولولا بقية سلمت من النهب، لما كان بوسعنا اليوم القيام بعمل تصحيحي من هذا النوع. والسؤال المحرج الذي يتوجب طرحه ونعلم أن لا جواب له هو التالي: **أين اختفت نقوش بيت بوس اليمن؟ وأين ذهبت نقوش جبل قدس (جنوب غرب تعز) ولماذا خربت دار-سالم (كما تعرف اليوم)؟ وأين نقوش بيت لحم اليمن؟ وماذا عن رفح ونقوشها؟ ولماذا اختفت نقوش فراة- فرات في وادي صيحان؟ وأين نقوش جرش؟ لقد فتشت دون جدوى-وطوال سنوات-عن أي نقش من نقوش المسند، يعود إلى هذه الأماكن التي جرى فيها تنقيب محموم، وخلال حقبة وفترات مختلفة، نظمت فيها حملات تنقيب عالمية الطابع ودون توقف تقريباً. لقد أخفى هؤلاء ، كل النقوش التي لا تقدر بثمن، وورد فيها وصف واسم **جبل قدس** والأحداث التي شهدتها، كما جرى إخفاء نقوش **بيت بوس** التي سجلت حملات **داود** ضدها. وأستطيع ان أجزم في ضوء نقاش علمي قد أخوضه بقوة في مناسبة تالية ، أن التلاعب بالتاريخ الحقيقي واختراع تاريخ بديل ، قد بلغ ذروته فقط حين جرى (زرع) نقوش يمنية في الأردن وفلسطين، والزعم بأنها اكتشفت فيهما، ومن بين هذه النقوش ما يعرف **بنقش ميشع (اليشع)**. وهو نقش تسبب في رواج ترهات- ضخّمها كتاب التاريخ العرب وبالأسف- مفادها أن **ميدب هي مآدبا؟** والأمر ذاته ينطبق على ما يعرف بلقائف البحر الميت المكتشفة في جزيرة **قمران**، وبرأينا أنها لقائف يمنية من كنوز جزيرة **قمران اليمن** (وتعرف باسم جزيرة **قمران**) وأن الذين أعادوا دفنها، وتسهيل اكتشافها من الأعراب ؛ إنما كانوا يتلاعبون بنا. وإلا لما جرى حجب أهم نصوصها عن أعين العلماء والدارسين.**

والآن: إذا ما عدنا إلى **نص يشوع** حول **أورشليم**؛ فإن الوصول إليها يتطلب المضي قدماً في وادي **دبر؟** فكيف لنا أن نصدق هذه الجغرافيا المختلفة؟

هاكم هذا الاكتشاف:

يقع وادي الدبر- اليوم وضمن التقسيم الإداري لليمن في مديرية سحان- **خولان**- وهي مديرية غنية بالأمكان الأثرية والقرى التاريخية، منها **هجرة دبر**، و**دار سلم** - **دارسلم**، و**ريمة**- **ريمة**، و**سامك**- **سامك** في التوراة، ومن قراها وأوديتها **سيان**- **سيان** في التوراة. ومن أشهر المواقع الأثرية فيها **هجرة دبر**، وهي أطلال قرية تقع في وادي الفروات (**عفرات** في التوراة) من مديرية سحان شرق **صنعاء** على مسافة (23 كيلومتراً) جنوباً. أما قرية **دار سلم**، كما تسمى اليوم، فتقع جنوب شرق **صنعاء** ويحدّها من الشرق وادي **الأجبار**، ومن الجنوب السواد (ما يسميه الهمداني نقيل السود) ومن الشمال لكمة العرة ومن الغرب الجرداء. أما اقتران اسمها **بسلم**، فيروي أهالي القرية التاريخية ان **سلم** أب القرية الروحي، سكنها منذ زمن وسميت باسمه. و**دار سلم** أطلق عليها اسم **القاع** إبان العهد الإمامي وسميت **بدار القاع**. والمثير أن جميع السكان تقريباً يؤيدون القول أن الاسم الحقيقي **لسلم هو سلم**، وأنه رجل كان له شقيقه يدعى **شالوم**. كما أن تضاريس المنطقة وآثارها وطبيعة بقايا سكانها، تؤكد أن **الطائفة اليهودية** تقطنها ، مثلما سكنت في مناطق مشابهة **كنطقة القاع بصنعاء** والتي كانت **سكنى لليهود**-حتى خمسينات القرن الماضي حين تم نقلهم إلى **إسرائيل** عبر سلطات الاحتلال **البريطاني** في الشطر الجنوبي سابقا- وقد بلغ عدد اليهود اليمنيين المهجرين نحو 60 ألفاً. إن مشاهد الخراب التي تحيط بالقرية تدل على أنها لن تستعيد، قط، تاريخها الحقيقي الذي جرى تزويره. وقبل تبيان الأخطاء الفاضحة التي وقع فيها مترجمو النص العبري إلى العربية- وبقية لغات العالم- أود التذكير، مرة أخرى ببعض البديهيّات التي لطالما جرى إهمالها أثناء النقاش، فقط لأنها بديهيّات، لكنها- ولأهميتها الشديدة ستظل أساسية في تقرير الحقيقة التاريخية وفهم النص فهماً صحيحاً. وأولى هذه البديهيّات، أن التوراة تتحدث عن **جبل قدس** وليس عن **مدينة**. والمتشدّدون اليهود يدركون هذا الأمر بدقة، ولذا نشأت جماعة (**أمنا جيل الهيكل**) التي تؤمن بحرفيّة النصّ التوراتي، **فالهيكل في الجبل**، كما تقول هذه النصوص. لكن **القدس** العربية ليست **جبلًا ولا فوق جبل**؟ أما ثاني هذه البديهيّات، فهي أن اسم **القدس** اسم حديث لا يرقى إلى أبعد من الفتح الإسلامي لبلاد الشام (عصر عمر بن الخطاب-رض-) وهو كتب بنفسه العهدة العمرية التي نصّت على أن المكان يدعى (**إيلياء**). ولو كان **الخليفة عمر** يعلم أن اسمها **القدس** (الشريف) لما كتب الاسم **الروماني**؟ وثالث هذه البديهيّات ، أن المسلمين لم يستخدموا تعبير (**بيت المقدس**) في وصفها إلا بعد شيوع رواية **الإسراء والمعراج**. أما قبل ذلك، فلا توجد أي إشارة أو وثيقة تؤيد معرفة العرب والمسلمين بالاسم. وعلى العكس من ذلك، لدينا ما يكفي من الأدلة أن العرب والمسلمين - في الجاهلية والإسلام المبكر- كانوا يعرفون **جبل (قدس) المبارك** في **تعز** اليمن، ولا يعرفون (**القدس**) التي ظهر اسمها هذا تالياً **وبعد الفتح الإسلامي لجنوب الشام**؟ وأن النبي-ص- ذكر اسم **جبل قدس في الحجاز** (وهما جبلان مباركان بنفس الاسم من دون ألف ولام) كما ذكرنا ذلك في مطلع الكتاب.

لقد استعمل المسلمون اسم **القدس**، حين استبدلوا التقسيم الإداري الروماني بتقسيم إداري عربي- إسلامي جديد، أي حين مصرّوا الأمصار وبنوا الدواوين في خلافة عمر، فأصبحت المدينة تدعى (**بيت المقدس**) . وهو اسم ديني- وليس تسمية إدارية- ويرتبط في ذاكرات العرب والمسلمين بديانة يعقوب (إسرائيل) التوحيدية، بما أنها امتداد لدين إبراهيم، وبشكل أخص بقصص سليمان وبناء المعبد- الهيكل. وفي القصاص الديني الإسلامي غالباً ما يقال، ان **سليمان** شيد **بيت المقدس**، لكن التوراة تسميه هيكل الرب، ولا تقول انه (القدس)؟ في الواقع، شاع اسم **بيت المقدس**، قبل الفتح الإسلامي وبقرون طويلة خارج اليمن، وبشكل أخص في الحبشة، وذلك مع انتشار اليهودية فيها، ثم مع تحولها إلى النصرانية- المسيحية العربية الأولى انطلاقاً من **موطنها التاريخي اليمن**. وهذا امر هام للغاية يتعين ملاحظته بدقة، فقد دخل اسم **بيت المقدس** في الأساطير الدينية الحبشية التي ما تزال مستمرة في المسيحية هناك. كما شاعت في المسيحية الحبشية (الأثيوبية) أسطورة زواج **سليمان** من مائدة أي بلقيس بطريقة غير شرعية، وانه أنجب منها ولداً هو **داود**؟ وأنها توطأت مع ابنها لسرقة ما يدعى في هذه الأساطير (**سيدة صهيون**) وهو تابوت العهد المصنوع من خشب مقدس. كما يتداول مسيحيو أثيوبيا حتى اليوم، معتقدات دينية تقول أن **أورشليم مدينة سماوية هبطت من السماء**. وفي سياق انتشار **يهودية اليمن** في محيطها الحبشي، ظهر اسم **مقديشو** (العاصمة الصومالية أي القدس- بمعاملة الميم الحميرية كأداة تعريف : مقدس= القدس). وهذا ما درج عليه المسلمون الذين استخدموا اسم **بيت المقدس** للدلالة على **المسجد الأقصى**، ثم سرعان ما نشأ إلتباس فطيع لا يزال مستمراً حتى اليوم، فكثرة من المسلمين لا تميّز بين **مسجد قبة الصخرة** الذي بناه **الأمويون**، وبين **المسجد الأقصى** . وهذا أمر مفهوم ومبرر، فهم – عبر هذه المماهة والدمج- يواصلون تقاليد روحية مستمرة، ترى إلى المكان المقدس وحدة واحدة يتكرر ظهورها في أماكن مختلفة. بهذا المعنى، دخل الفاتحون المسلمون وهم يحملون ذكريات عميقة عن **بيت المقدس** القديم الذي علموا بقصة بنائه في عهد **سليمان في اليمن**. ولا يوجد أي دليل تاريخي، يؤكد أن الفاتحين المسلمين كانوا يعرفون المكان باسم آخر، ولذا استمروا في استخدام تعبير (**بيت المقدس**) للدلالة على **المسجد الأقصى** (وهو تعبير ديني وليس مكاناً بعينه، إذ لا يوجد ما يؤيد وجود مكان بهذا الاسم ولو كان هناك مثل هذا المكان لصلى فيه عمر بن الخطاب؟) وذلك ما استمر لوقت طويل، ربما إلى وقت قريب من حروب الفرنجه (ما يعرف بالحروب الصليبية). حين سمعوا ضجيج الأوروبيين القادمين باسم المسيحية يتعالى **لاستعادة القدس**، بوصفها إرث المسيحية الضائع. وأخيراً، تكررّ الاسم مع **العثمانيين**. لكل ذلك، يصبح أمراً مستحيلاً تخيل أن التوراة ذكرت اسم **القدس**، ونحن نعلم أنها كتبت نحو 500 ق.م؟ فماذا تقول النصوص التوراتية عن **جبل قدس** (وليس القدس)؟

هاكم ثلاثة نماذج ورد فيها الاسم وبالتوصيف الجغرافي :

النص الأول (يشوع 10 : 41)

וַיִּבְּסוּ יְהוֹשֻׁעַ מִקְדָּשׁ בְּרַנְעָה וְעַד-לָאֵזָה וְאֵת כָּל-אֶרֶץ גְּשׁוֹן (الترجمة في النسخة العربية :
فصربهم يشوع من قادش برنيع إلى غزة مع كل ارض جوشن)

الترجمة البديلة (فطاردهم يشوع من قدس وبرنع حتى عزه وكل أرض جوسن)

النص الثاني (يشوع : 15 : 3)

וְעַבְרָא לָאֵזָה וְעַלָּה מִנְגַב לִקְדָּשׁ בְּרַנְעָה (الترجمة في النسخة العربية : ويمر إلى صين ويصعد
إلى جنوب قادش برنيع)

الترجمة البديلة (ومن -عبر- صنه ، ثم تصعد من جنب إلى قدس وبرنع)

النص الثالث (يشوع 20 : 7)

וַיִּקְדְּשׁוּ אֶת -קְדָשׁ בַּגְּלִיל בְּהַר נַפְתָּלַי (الترجمة في النسخة العربية : فكّرَسوا قادش في
الجليل في جبل نفتالي)

الترجمة البديلة (فقَدَسوا جبل قدس في الجليل وفي سراة نفتلي)

تحليل النصوص

النص الأول: نلاحظ في هذا النص، أن محققَي ومترجمي النص العبري، أهملوا القيمة الدراسية الخاصة بإسلوب الكتابة العبرية، فهو يتميز بطابع فريد من نوعه بين الأساليب القديمة، فعدا عن افتقاد النص المكتوب للفواصل بين الجمل والكلمات والأسماء؛ فإنه يقوم على أساس السرد التوصيفي المتدفق والمنتابح، وهذا ما يتأكد من إمعان النظر في طريقة سرد أسماء الأماكن بالنتابح. ولذلك، وقعوا في خطأ الافتراض بوجود مكان اسمه قدس برنيع، وهما موضعان²⁶. كما أنهم - في سياق الهوس بفلسطين- تخيلوا اسم عزة في صورة غزة (بالغين المعجمة).

²⁶: ويبدو أن هذا التساهل، قاد محققَي ومترجمي النص العبري والآرامي إلى الإفراط في تحويل الحركات الإعرابية إلى حروف (برنع- برنيع - بتحويل الكسرة إلى حرف ياء). وفاتهم كذلك، ملاحظة أن النون تدخل على الأسماء في أولها ووسطها وآخرها، وأنها في الأصل أداة تعريف منقرضة (ألف ولام: برنع- البرع ، أو تهمل في حالات أخرى بوصفها حرفاً صوتياً لا وظيفة له مثله مثل السين الحضرمية بنهسو - ابنه)

وبكل تأكيد لا وجود لجبل اسمه قدس برنيع يؤدي إلى غزة؟ وصحيح الجملة كما بيّنا هو التالي: إن يشوع طارد القبائل من جبل قدس وجبل برع²⁷ حتى جبل عزه فبلغ أرض جوسن . يقع جبل قدس - باسمه هذا حرفياً- في الجنوب الغربي لمحافظة تعز (مديرية المواسط) ويبعد عن مركزها حوالي 70-80 كيلو متر، تحدّه من الجهة الشمالية والشمالية الشرقية عزلة (بني يوسف) ومن الشرق والجنوب الشرقي مديرية الصلوة، ومن الجهة الجنوبية الغربية مديرية الشمايتين وجزء من مديرية المقاطرة ومحافظة لحج، ويحدّه من الجهة الغربية والشمالية الغربية أرض بني حماد. وتعد القرية التي تحمل اسمه، ملتقى لكثير من الطرق، كطريق النشمة وطريق طور الباحة. وتبلغ مساحة جبل قدس (74.6) كيلو متر، وفيه عدد من القرى والعزلات الجبلية (نحو 49 قرية). ومن أشهر وأهم الأودية في هذه المنطقة، وادي نخلة ووادي رسيان موزع الزريقة ووادي المفاليس، والضباب. واسم مفاليس (بإسقاط الميم الحميرية عم فلس) هو الصيغة القديمة ذات الأصل العبري من اسم الفلسة (ها- فلستيم) الوارد في التوراة، وهم سكان جبل قدس، تماماً كما في نصوص التوراة. ومن الملاحظ أن القبيلة اخذت اسمها من اسم إلهها الفلس، وهو إله السرّة (الخصب). وقد وصفهم ابن الجاور²⁸ في رحلته لهذا الوادي فقال (وعرب التهائم من موزع إلى أعمال أبين- محافظة أبين - مع جميع العقارب- عقارب أو عقربيم في التوراة- وهم عرب هذه البلاد، يسمون بنو الحرث، يدعون المحبة لله وفي الله. وإذا وجد أحدهم غزلاً ميتة أخذوها وغسلوها وكفنها ودفنوها وبقي الغزال في جميع القبائل مدة سبعة أيام مشققين الجيوب مقطعين الشعور يذرون التراب على المفارق، فقيل لهم فيما هم فيه فقالوا: نحن نمشي على الأصل . ولم يأكل أحد من أهل هذه القبيلة خبزاً مقابل امرأة، ولا يشرب- مقابل امرأة- ولو مات جوعاً وظماً. ومن هذا الحد- أي الموضع- يخلّى الجمال - أي تترك الجمال لصعوبة الحركة- ويركب الحمير إلى قدام. وما اشتق اسم المفاليس إلا من الإفلاس كما قال أبو نؤاس:

أريد قطعة قرطاس فتعوزني

وجل صحبي أصحاب القراطيس

تحاهم الله من ود و معرفة

إن المياسير منهم كالمفاليس

ومن المفاليس إلى نقيل الحمر فرسخ ونصف، بناه الشيخ أحمد بن الجنيد بن بطال. وحدثني يحيى بن عبد الرحمن الزراد قال: إنما بناه محمد بن سليمان ابن بطال. ويقال إنه ثلاثمائة وستون ملوى

²⁷: النون حرف صوتي استخدم كأداة تعريف منقرضة وهو ما أسميناه النون الكلاعية

²⁸: ابن الجاور، تاريخ المستبصر، موقع الوراق <http://www.alwarraq.com>

أي فركة، ذبح على كل ملوى رأس بقر، فدية وستة أحمال حنطة وخرَج ثلاثمائة دينار، ويقال إنّه خرَج كل ملوى بألف دينار، وبنى على كل ملوى سقاية ومسجد. فلما أتمّه طالبته زوجته بمهرها ، فقال لها: ما تريدين مني؟ قالت: أريد أن تعطيني ثواب عملك وأنت في حل من المهر، فأعطاهما ثواب ما عمله. وتمّ - بناءه- ستة و عشرين وخمس مائة وهو بناء عجيب حسن. وفي النقييل **حجران فيهما على هيئة فرجي امرأتين**. سألت المكارى عن حالهما، فقال: إنما كانتا امرأتين **مسختين حجرين**، إحداهما بانّت في ضرس جبل، والثانية **قطعة فرشت على جملة بناء المدرج**. قال ابن المجاور ورأيت فيه شيئاً شبه الدم ولم يتحقق عندي إنّه دم، أو غيره. وحدثني أحمد بن المهنا الصفار الحلّي ثم الفدسي قال: يمكن أن يكون ذلك الدم موميا بني آدم، لأن موميا بني آدم الأصل فيه هو الذي يعقد من الحجر ويسيل. وقال بعضهم: إنّه يُشَمّ من الحجر رائحة كريهة، شممت ذلك ووجدته بخلاف ما قالوا. والحجران هما على مائتين وثلثين ملوى وهما على يمين الصاعد من المفاليس إلى الجوة، وعلى يسار النازل إلى المفاليس قدره مائة وثلثين ملوى. وعلامته أن نبت على رأس الحجر الواحد شجرتا سلم ، فيصل فيئهما إلى الحجر الثاني الذي ادخل في جملة البناء. وبقي النقييل على حاله إلى أن دخل شمس الدولة توران شاه بن أيوب اليمن، فخرجت العرب بعض النقييل لئلا يعبره أحد. وبقي مهدوماً إلى أن تمكن سيف الإسلام طغتكين بن أيوب من الملك وجدد عمارته من ماله). في هذا النص الرائع (الطويل نسبياً) ترك لنا ابن المجاور معلومات ثمينة عن قبيلة الفلّس (في واديهم المعروف باسم المفاليس) فهم كانوا وثنيين يتعبّدون لإله الخصب القديم الذي تخيلوه في صورة (السرة أو فرج المرأة). واتسموا بفرط مشاعر الحب والرافة حتى أنهم كانوا يبكون أياماً لموت غزال (الغزال معبود قديم). وكانوا يحتفظون ببقايا طقوس عبادته حتى وقت طويل من الإسلام ، وذلك ما يدلّ عليه احترامهم لتمثالي المرأتين الحجريتين. لكن ابن المجاور- مثله مثل أبي نؤاس- لم يكن يعرف العلاقة الدلالية بين فلّس وكلمة السرة (وهي تدعى الفلّس) فافترض أن للاسم علاقة بالإفلاس، وهذا تخريج لغوي سطحي. ومن غير شك، فوجود هذا الوادي العظيم في جبل قدس، وبقيلته التي تحتفظ باسم الفلّس القديم وطقوس عبادته، يدعم ما ورد في نصوص التوراة كلياً، فقد اصطدم داود (وهو عند اليمينيين ملك يمني) بهؤلاء في هذا المكان بالذات، وليس في فلسطين، إذ لا يوجد أي دليل لغوي أو جغرافي فيها يؤيد وقوع مثل هذا الصدام. كما أن وجود عزلة بني يوسف في هذا الفضاء الجغرافي يقدم دليلاً آخر على ما ورد في التوراة عن منازل الأسباط، فقد حصل سبط يوسف على منازل لا وجود لها إلا في هذا المكان، وهي تدعى إلى اليوم منازل (بني يوسف). لقد وقع مترجمو النص العبري الخاص بمنازل السبط الإسرائيلي يهوذا- هود في سلسلة أخطاء مُدمرة للنص، سنحاول حصرها في أضيق نطاق ممكن لتسهيل المسألة على القراء غير المتخصصين، فهم لم يتمكنوا من تمييز الكثير من إشارات ودلالاته، مثلاً، لم يفطنوا الى المعنى الذي ينطوي عليه وجود كلمة (عُبر) في جملة واحدة مرتين (وعبر- صن- وعله-م- جنب- وعبر- حصرون)؟ فهل أراد سارد النص الإشارة لموضع يدعى صن، ثم القول: وتمر ثانية بموضع يدعى حصرون؟ أم أن الكلمة ذاتها تمّ استخدامها وتوظيفها لأداء معنيين مختلفين؟ سوف تكشف لنا قراءة دقيقة للنص عن سوء الفهم الذي وقع فيه المترجمون؛ فسارد النص أراد من (عُبر) في المرة الثانية معنى آخر غير معنى المرور، وذلك حين كرر الكلمة في الجملة القصيرة ذاتها. وهذا يعني أنه أراد الإشارة الى (وادي عُبر) الذي يمكن الوصول إليه من وادي حضر (حصرون في البناء العبري).

يقع وادي العبر – والذي لا يزال يحتفظ باسمه- في محافظة عمران، مديرية ثلاء عزلة بني العباس . ومحافظة عمران تقع شمال العاصمة صنعاء وتبعد عنها بمسافة حوالي (50 كم) تقريباً وتتصل بمحافظة صعدة من الشمال وبمحافظة صنعاء من الجنوب، وبمحافظة حجة والمحويت من الغرب، وبمحافظة الجوف وصنعاء من الشرق. وعمران اليوم مدينة تبدو من الناحية المعمارية، مدينة متناقضات هندسية، حيث تتألف من وحدات عمرانية تنتمي للمدينة القديمة، ومن وحدات أخرى تنتمي لمدينة حديثة. لكن المباني القديمة بوجه العموم، لا تزال في فضاء معماري متناغم داخل الأسوار القديمة التي أنشئت لحمايتها، أما المعماريات الحديثة، فقد حرص المهندسون على أن تظل خارج الأسوار. وتنتشر في مدينة عمران القديمة العديد من مباني اليهود الذين كانوا يسكنون المدينة، ولكن معظمها تعرض للإندثار والانهيأ جراء الإهمال، ولم يبق منها سوى القليل الذي يدل على الذكريات ومن غير شك، فإن اسم عمران يرتبط في الذاكرة العربية- الإسلامية باسم والد النبي موسى (موسى بن عمران). وحتى اليوم يوجد في ظفار مرقد يضم – ما يزعم- أنه رفات النبي عمران؟ وثمة علاقة أكثر من دلالية بين اسم عمران هذا واسم التلّ المصري تل العمارنة (عمرم في التوراة) الذي عثر فيه علماء الآثار على لقي وسجلات تاريخية هامة، وهو ما يحملنا على الاعتقاد بوجود معبود قديم²⁹ سابق على التوحيد عرف بالإله عمران (واهب الذكور³⁰). واسم عمر، وعمير، يعني (عضو الذكورة) وهذا ما شرحته بإسهاب في مؤلفي (أساف ونائلة : اسطورة الحب الأبدي). وكل هذا يؤكد عمق ديانة الخصب القديمة في اليمن، حيث عبادة الأعضاء التناسلية الذكورية والأنثوية. ولقد كشف علماء الآثار مؤخراً عن معبد كان مكرساً لإله قبيلة ذي مراند (أو ما تطلق عليه النقوش) (ب ان / و ا م / ر ا ث / د ا م) وهو الإله (المقه) الإله الرسمي لدولة سبأ. وهذا المعبد هو أحد المعابد المنتشرة في أراضي عمران وقاع البون وصنعاء وشبام كوكبان. كما تؤكد النقوش أنه كان يحمل اسم (ه ر ن) ويتميز عن غيره من المعابد بأنه معبود مختص بمنح الأولاد الذكور.

ومن الأودية والسهول في عمران، قاع البون الذي تقدر مساحته بـ 606 كيلومتر تقريباً، ويمتد من جنوب المدينة إلى شمالها. ومن اسم القاع (اخترع) التوراتيون مملكة اسمها بلاد بونت؟ لمجرد أن الاسم يظهر في صورة بونت، وهذا رسم يماني نجده في النقوش، فاسم قريش مثلاً يكتب: قرشت بإضافة التاء الأخيرة اللاصقة، ومثل فلست في فلس. وزعم هؤلاء المخترعون، أن بونت هي أرض الصومال (ولذلك أطلق المستعمرون اسم أرض بونت على جزء من الصومال المقسمّ تينمّاً بالاسم التوراتي)؟ كما ان القاع هو ذاته في التوراة تقوع- قوع (والتاء حرف لاصق) . أما البون فهو من أشهر القيعان اليمنية وأكثرها خصوبة. وفي هذا الفضاء الجغرافي يظهر وادي حضر-حصرون على مقربة من وادي العبر بالفعل، وضمن مديرية بني مطر أكبر مديريات محافظة صنعاء. ويبعد عن وادي بناء-بنا في التوراة نحو 50 كيلومتراً، وهو اليوم

²⁹: وهذا ما يفسر لنا سر وجود اسم عرام- عمران كأب لمريم العذراء (مريم بنت عمران) وبحيث يتوهم البعض انها أخته؟

³⁰: يعني الجذر عمر- عمير في اللغة العربية: عضو الذكورة

يعاني الجفاف طوال أيام السنة بعدما كان دائم الجريان. وبالطبع فوادي حضر اسم لا علاقة له باسم جبل ووادي حضور.

والآن ، نعود إلى النص مرة أخرى :

حين بدأ يشوع بمطاردة القبائل الوثنية، فقد بلغ جبل عزا (وليس غزة). وجبل عزا هذا يقع في الفضاء الجغرافي لجبل قدس ومسرح المعارك الدائرة في محيطه، وهو عند التخوم الجبلية لمحافظة تعز مع محافظة الضالع تماماً ، وهو اليوم حصن مشهور في عزلة حيسان من مخلاف بعدان، وأصبح ضمن التقسيم الإداري الجديد لليمن ضمن محافظة إب، ويدعى باسمه القديم: جبل عَز. وقد لاحظ باحثون يمنيون (في : نتائج المسح السياحي لليمن) أنه حصن حميري الأصل، دارت عند سفوحه أحداث تاريخية وخاصة في العصر الإسلامي (القرن الخامس الهجري والحادي عشر الميلادي- فترة الدولة الصليحية) . كما أن المقحفى ذكره في (معجم البلدان والقبائل اليمنية) كحصن حميري شهير في مديرية الشعر من أعمال محافظة إب، وأن الأتراك استخدموه كموقع عسكري. ولأن نص يشوع يقول أنه طارد القبائل في جبل عزا وفي أرض جوسن (جوشن) ففي هذه الحالة ، يجب أن تكون جوسن في الفضاء الجغرافي نفسه. تقع جوسن وهي اليوم قرية جبلية جميلة في جبل حرير بمحافظة الضالع. وجبل حرير هذا يمتد في سهل الضالع وترتفع أعلى قمة فيه نحو (7800 قدم) عن مستوى سطح البحر، ويتميز عن سواه من الجبال في المنطقة بكثرة المنخفضات ذات التربة الزراعية الخصبة- التي حولها السكان والمزارعون النشطاء إلى مدرجات زراعية ساحرة-. وبالطبع فإن تسمية جبل حرير تسمية حديثة، بينما حفظت لنا القرية القديمة جوسن، اسم الأرض التي دارت فيها معارك يشوع. وإذا ما ألقينا نظرة سريعة على خارطة اليمن ، فسوف نشاهد مسرح الحدث التوراتي هناك داخل مساحة جبلية وعرة ، تمتد من جنوب تعز - حيث جبل قدس المبارك- وصولاً إلى تخوم المحافظتين المجاورتين : الضالع وإب. لكن، ماذا عن مضمون جملة (قدس- برنع) ؟ ماذا تعني بالضبط ؟ إن لمن المدهش حقاً، أن نعلم أن اليمنيين يسمون جبل قدس المبارك

بقمته الشامخة وجماله الخلّاب في الصورة التالية : قدس ذا البرع؟ ويمكن للزائر، أن يسمع التسمية من أفواه السكان بشكل تلقائي وهم يتغنون بجماله. والبرع هذا، هو الجبل الشهير برع المحاور لجبل قدس؟ وفي الواقع، يطلق اليمنيون على قدس هذا ثلاثة أسماء أخرى مجاورة له : الحاز من قدس- إلحاز في التوراة، قدس ذا البراع- برنيع، وأخيراً حوبان قدس، وهي سلسلة صخرية ووديان متصلة بقدس. أما جبل برع الذي اشتق منه اليمنيون وصف قدس ذا البراع، تماماً كما في التوراة، فيضم عزلة شمير- شمير في التوراة ويشتهر بمحميته الطبيعية الساحرة شرق مدينة الحديدة وعلى بعد 50 كم. والحديدة يحدها من الشمال عزلة الفاناش- إلفاس -

إليفاز، والمنوب- نوب، وعزلة بني سليمان ومن الجنوب الوادي الأسود، وتقع في الجهة الغربية لليمن على ساحل البحر الأحمر، وتبعد عن العاصمة صنعاء حوالي (226 كم) على خطي العرض (14° - 16°) شمال خط الاستواء، وبين خطي الطول (42° - 43°) يحدها من الشرق أجزاء من محافظات إب وذمار وصنعاء والمحويت وحجة، ومن الشمال محافظة حجة، ومن الجنوب محافظة تعز، ومن الغرب البحر الأحمر. وحسب نصوص التوراة، فقد كان الوصول إلى قدس- قدس، يتطلب بلوغ جبل الأموريين- العموريين (والمترجمون للأسف يتجنبون رسم الاسم بحرف العين مع علمهم أن هذا الحرف من أصل الاسم فيرسمونه في صورة الأموريين وليس العموريين). وهذا ما يقوله سفر تثنية الإشتراع 1 : 18 : 38 :

עד קדש כרנע ואמר אלכם כאתם עד הר האמרי

عد- قدس- برنع- عمر-ءلكم- بءتم- عد- هر- ها-ءمري (وعند قدس برنع قلت لكم ها قد وصلتم حتى جبل الأموريين)

ومن المؤكد أن هذا الوصف لا ينطبق بأي صورة من الصور على مدينة القدس العربية، بينما نجد جبل قدس وعلى مقربة منه سائر المواضع التي تذكرها التوراة، ومنها جبل بني عامر (العموريين) وهو اليوم- ضمن التقسيم الإداري الحديث لليمن- في محافظة ريمة التي تم استحداثها خلال العام 2004، وتبعد عن العاصمة صنعاء بحدود 200 كيلو متراً، وتتميز بطبيعة وعرة وجبال شاهقة في الارتفاع، ومن أهم مدنها الجبين -عاصمة المحافظة- حيث تعدّ الزراعة من أبرز أنشطة السكان فيها ، وهم لا يزالون حتى هذه اللحظة يتحدثون باللهجة الحميرية القديمة (بتفخيم حرف القاف واستخدم حرف الكاف في المتكلم والمخاطب وحرف الشين في التسوية). ومن المنظور الجغرافي يصبح جبل بني عامر جزء من جبال تعز، وفي الآن ذاته متصلاً بجبال صنعاء وبجزء من محافظة الحديدة من الشمال، ومحافظة ذمار من الجنوب. ها هنا قدس وعزا وجبل العموريين.

النص الثاني :

يقول يشوع ما يلي: ومن -عبر- صنه، ثم تصعد من جنب إلى قدس وبرع

في هذا النص يكرر يشوع وصفه لجبل قدس - ولكن عبر سراة جنب التي تسمى سراة عبيد- حيث يمكن للسائر أن يصل إليه حين يجتاز جبل صنة. والملاحظ في النصن، أن يشوع لا يقول البتة ان قدس هي اورشليم؟ فمن أين استمد المخيال الاستشراقي الغربي فكرته الزائفة أن القدس هي اورشليم؟ وكنت حددت في صفحات سابقة المواضع المذكورة. إن القدس (العربية الإسلامية) لا تعرف سراة جنب ولا جبل صنة؟

النص الثالث :

في سياق رواية توزيع الأرض على القبائل، وتحديد منازل سبطي نفتل- نفتلي وسبط منسه من بني يوسف ، يقول يشوع ما يلي:

فقدسوا جبل قدس في الجليل في سراة نفتلي

وإذا ما أمعنا النظر في خريطة **جبل قدس جنوب تعز** - أنظر الصفحة السابقة - فسوف نجد بني **يوسف** (بقايا سبط - قبيلة يوسف) في مكانهم التاريخي وباسمهم نفسه بين جبلي **سامع** - **سامع** التوراة، و**جبل نفتل** (الذي يدعى اليوم جبل الصلو). وهذه السلسلة الجبلية كلها، هي ما كان يدعى **الجليل اليمني** . واسم الجليل مستمد من توصيف المنطقة التي تشتهر بزهرة الثمام التي تدعى **الجليل**). وإلى جوار **قدس**، **جبل صنه** ، تماماً كما في وصف **يشوع**، ولا يزال **جبل صنه** هذا باسمه وقبائله، كما نجد **يشموت** (ما يدعى اليوم مديرية الشماتين - من المفرد يشمت³¹) وسائر المواضع الأخرى.

وها هنا مرة أخرى، لا يقول **يشوع** أن **قدس** كانت تدعى **أورشليم**؟

لقد تخيل التوراتيون أن اسم (**جبل قدش وجبل برنع**) هما اسم واحد لمكان يُدعى (**قدش برنع**) بقراءة الحركة الإعرابية- الكسرة- كحرف، وذلك ناجم عن خطأ في قراءة الجملة، لأن النص العبري يخلو من الفواصل الدقيقة بين الكلمات. ولذا حدث تخيّل مثير للموضعين، جرى في سياقه وعلى نحو محموم، البحث دون جدوى عن مكان مقدس في **فلسطين** يُدعى (**قادش برنع**). كل ما في الأمر أن **يشوع** وعلى غرار ما يفعل اليمينيون اليوم، يسجل اسم **جبل قدس** في صورة **قدش- برع** (النون هنا حرف لاصق وهو نفسه أداة التعريف المنقرضة التي تدخل على الأسماء) نسبة إلى مكان آخر اسمه **برع**. وتتماماً كما ينطق اليمينيون المعاصرون اسمه اليوم، فهم يقولون : **قدس ذا البرع** .

³¹ : بحذف الياء اللاصقة

هنا مقارنة بين نصّ يشوع ونصّ الهمداني

نصّ يشوع

٤ عدم-م- دبر (..) م- جنب ل- قدش- برنع -وعبر-حصرون-ويعله -٤ درا
 (أديم من البرية (..) من جَنب الى قدس ، وبرنع ، عُبر و حضر ، وأدرا)

نص الهمداني 133-137

نقل السود من صنعاء ويهريق في جانبه الأيمن جنوبي حضور (..) و
 جبل برع، فبلد بني حارثة ويرد ، فأدرا-ن وجنب، ووادي أديم وجبال
 ت ذات السريح (ذي السريح ثم قدس- المحقق)

ما يقوله هذا النص واضح بما فيه الكفاية: فالسائر على خُطى يشوع والهمداني في سرارة المصانع من صنعاء أي سرارة جنب درج يمكنه أن يصل الى وادي أديم- أدم 𐤀𐤓𐤃𐤁 ويتجه نحو جبل قدس المبارك³² - بالفتح- وهو قدس المعافر الى الجنوب من تعز، عبر جبل برع- برنع³³ صاعداً الى جبل ء درا-أدرى وجبل صنة .

وهاكم مقارنة أخرى تكشف عن التماثل حتى في بناء النص :

ي سفر يشوع	الهمداني:186
(وتصعد من جَنْب)	(رجع من جنب)
الجملة في العبرية:	م- جنب الاله 𐤓𐤓𐤃𐤁 من جنب

لقد توهم المترجمون أن كلمة جنب في نصوص يشوع، هي ذاتها كلمة (جنبه) العبرية بمعنى جنوب، ولم يلتفتوا الى أن سارد النص يستخدم الكلمتين معاً (جنبه) و(جنب) على التوالي في سياقين ومعنيين مختلفين. ومن غير المحتمل بالطبع، أن لا يكون سارد النص متأكداً من وجود المعنيين المختلفين في الكلمتين، وهذا ما يفسر لنا سبب استخدامه لهما. لقد وظف سارد النص الكلمة الأولى

³²: حتى اليوم يطلق اليمنيون لفظة (المبارك) مشفوعة باسم جبل قدس. وهذا أمر مثير يؤكد طبيعة القداسة المستمرة في الراسب الثقافي.

³³: وجود النون الوسطية الزائدة يتصل بتقاليد غير مستقرة تخص استخدام أداة التعريف القديمة. لقد كان القدماء من اليمنيين، حائرين في طريقة استخدام أداة التعريف التي نلاحظ أشكال تطورها ، من الميم الحميرية والألف والنون الهمزة والهاء وصولاً إلى الألف واللام العربية الراهنة ، مروراً باستخدام(الهاء)

(جنبه) في معرض إشارته الى عين ماء تُدعى (جنبا- جنبه) بينما أراد من الثانية (جنب- جنب) سراة جبلية بعينها هي التي تدعى حالياً سراة عبيد المتصلة بصعدة العاصمة الروحية القديمة لليمن ثم بصنعاء. ولذا استخدم الفعل صعد (وعله- جنب) . وهذه السراة، سراة جبلية عظيمة تؤدي إلى جبل قَدَس المعافر.

ولأن قَدَس هو الجبل المبارك بالنسبة لليمنيين القدماء في جنوب تعز، يقع في قلب سلسلة جبال السريح، فقد استخدم سارد النص تعبير (وعله- م-جنب) بمعنى و(صعد من جنب) . وهذا ما نجده عند الهمداني أيضاً، فهو يشير الى أن السائر نحو جبل قَدَس وجبل برع- برنع، سوف يصعد سراة جنب ثم جبل أدره- أدري.

ونظراً لورود الكثير من هذه الأسماء في قوائم سابقة قمنا بتحليلها، فسوف أكتفي بتقديم عرض وتحليل سريع ومقتضب بالمواضع التي لم نتحدث عنها. وسوف نبدأ من الأسماء التالية:

ضين : يقع جبل ضين شمال صنعاء وهو من أقدم الجبال وفيه بني مسجد صنعاء بأمر النبي- ص-

صنه : عزلة صنه الجبلية في محيط جبل قدس وتقع من الناحية الإدارية في محافظة البيضاء - مديرية الطفه - أنظر خريطة قدس -

حصر-حضر: تقع عزلة حضر الجبلية في محافظة صنعاء، وتتبع إدارياً مديرية جحانه

عبر : وادي عبر ، وهو من الوديان المعروفة قديماً في محافظة عمران المتاخمة لصنعاء (ويتبع مديرية ثلاء عزلة بني العباس) حيث توجد قرية تسمت باسمه (قرية وادي العبر)

عدري- ذري: يقع جبل ذري (عدري - العبرية لا تعرف حرف الذال المعجم وترسمه بالبدال المهمل) في مدينة شهارة التابعة إدارياً لغرب صنعاء، أي في المكان نفسه لسائر المواضع السابقة. وهو جزء من سلسلة جبلية متشابهة من ناحية التركيب الطبيعي وتعرف تاريخياً بسلسلة جبال الأهنوم- هنوم، نسبة إلى قبائل الأهنوم التي تسكنها . وفي هذا السلسلة يمكننا رؤية جبل ذري الشامخ باسمه التوراتي وفي المكان الذي وصفه يشوع .

أدم : وادي أديم في مديرية الشمايتين

دبر: دبر، وهي هجرة قديمة (أي مدينة آمنة) تسمى اليوم بالاسم نفسه (دبر) لم يتبق منها سوى الأطلال في وادي الفروات من مديرية سنحان، شرق صنعاء (نحو 32 كيلومتراً) . وقارن بين اسم فروات وفراة في التوراة التي جرى تخيلها على انها الفرات العراقي؟

رسم توضيحي لدار-شلم والمناطق المحيطة بها





موقع جبل قدس وتظهر صنه- صنه وجبل سامح ومنازل بني يوسف والكلابية-

كلب في التوراة جيران سبط يوسف.

وها هنا يشموت- شماتين، وجبل هنوم

في بيت بوس الحصن التاريخي الشامخ مع الصديق الباحث السوري جورج كدر





بيت بوس الحصن الجميل الذي استولى عليه داود